

Gaylord
GAYLAMOUNT®
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N.Y.
Stockton, Calif.

B
741
Q98
v. 2

CORNELL
UNIVERSITY
LIBRARY





فلاسفة العرب

٢

أبو العلاء المعري

دارالمشرق (المطبعة الكاثوليكية)
ص.ب: ٩٤٦، بيروت - لبنان

مجموعة من مؤررة من منشوراتنا اللغوية والفلسفية

معاجم :

المنجد في اللغة والادب والعلوم
(الطبعة التاسعة عشرة معاد النظر فيها ومزيد عليها)

المنجد الابجدي
(على الطريقة الابجدية الكاملة)

منجد الطلاب
(طبعة جديدة منقحة ومزيد عليها)

المنجد المصور
(١٨٦ كلمة مشروحة مع ٣٢ لوحة ملونة)

كتب فلسفية :

ابن رشد ، كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال
قدم له وعلق عليه الدكتور الير نصري نادر

الامام أبو حامد الغزالي ، تهافت الفلاسفة
عن النص الذي اتبعه الأب بويج . قدم له ماجد فخري

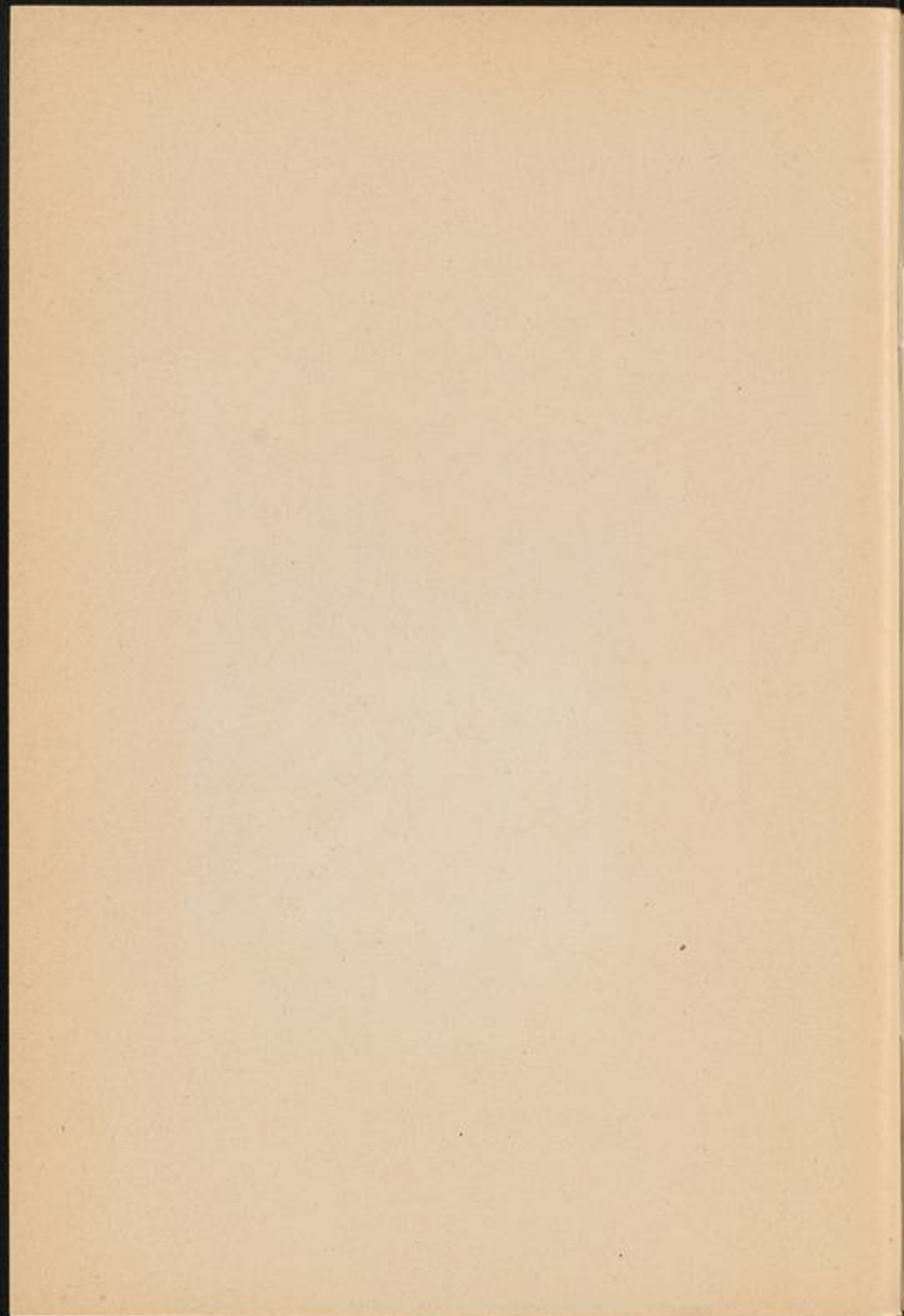
ابونصر الفارابي ، كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين
قدم له وحققه الدكتور الير نصري نادر

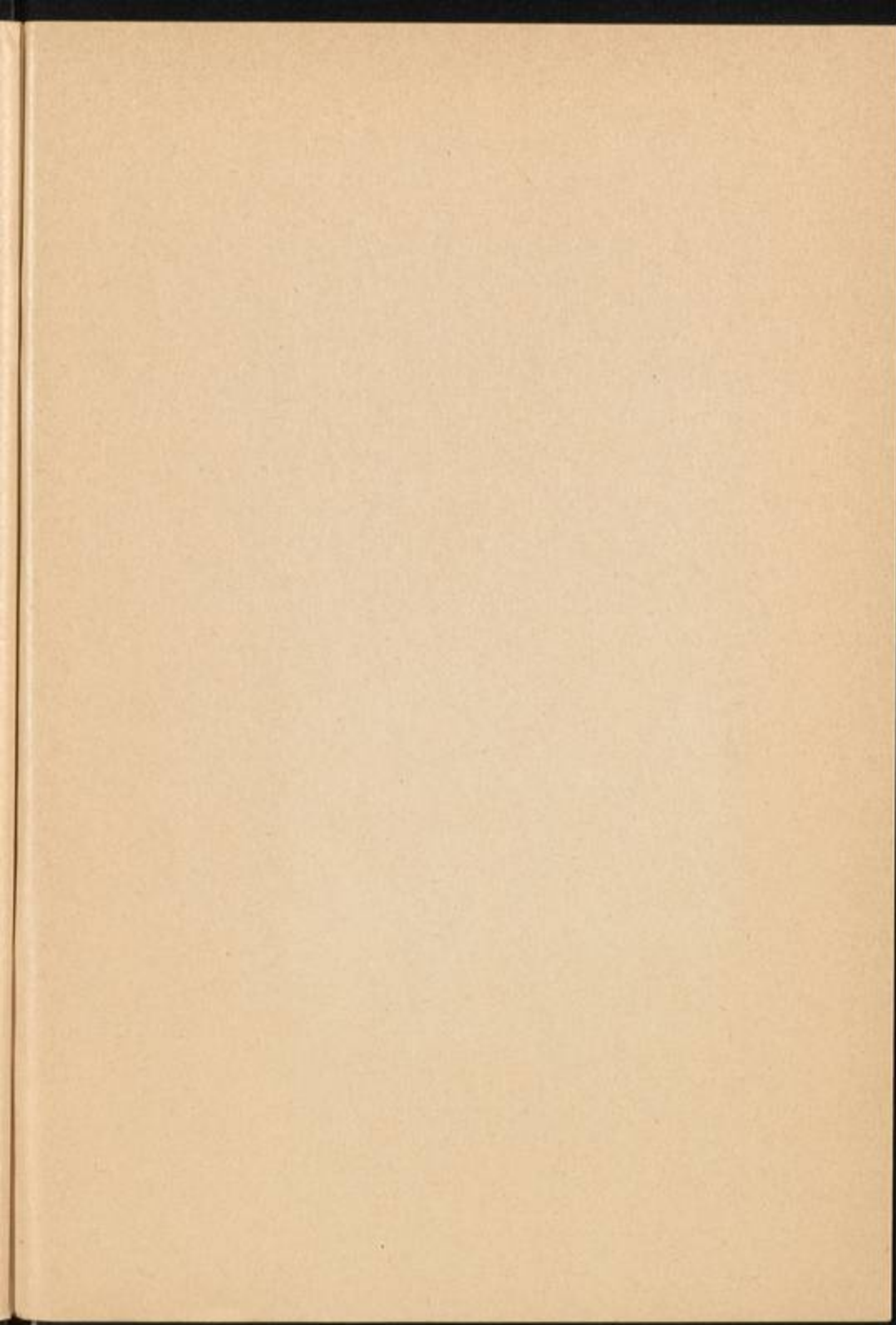
ابونصر الفارابي ، كتاب آراء اهل المدينة الفاضلة
قدم له وحققه الدكتور الير نصري نادر

ابونصر الفارابي ، كتاب السياسة المدنية
حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور فوزي مري نجار

كتاب اثبات النبوات لأبي يعقوب السجستاني
تحقيق عارف تامر

كتاب الإيضاح لشهاب الدين أبي فراس
تحقيق وتقديم عارف تامر





يوحنا قنبر

أبو العلاء المعري

في لزومياته

دراسة - شعر مختار

طبعة رابعة منقحة

دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية)
ص.ب: ٩٤٦ ، بيروت - لبنان

B
741
Q98
4.2

B 925138

X
V.P.K

© Copyright 1968, DAR EL-MACHREQ PUBLISHERS
P.O.B. 946 . Beirut, Lebanon

جميع الحقوق محفوظة : دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية)

التوزيع : المكتبة الشرقية ، ساحة النجمة ، ص.ب. 1986 ، بيروت ، لبنان

باطل الاباطيل ، كل شيء باطل .

اي فائدة للبشر من جميع تعبهم الذي يعانونه تحت الشمس ؟...
كل ما ابتغته عيني لم ادعه يفوتها ، ولا منعت قلبي من الفرح شيئاً ،
بل فرح قلبي بكل تعبي ، وكنت احسب ان ذلك حظي من تعبي كله . ثم
التفت الى جميع اعمالتي التي عملت يداي ، والى ما عانيت من التعب في عملها ،
فاذا الجميع باطل وكآبة الروح ، ولا فائدة في شيء تحت الشمس .
« سفر الجامعة »

الولادة عذاب ، والشيوخوخة عذاب .

المرض عذاب ، والموت عذاب .

عذاب ان يرتبط الانسان بمن لا يحب ، وعذاب ان ينفصل عن من يحب .

عذاب الأينال الانسان ما يشتهي ، وعذاب ان يشتهي ...

من ادرك هذا ، ايها الرهبان ، وكان حكيماً ، وواعياً لكلمة الحق ،
يتحول عن المحسوسات ، واذا يتحول عنها ينعتق من ربة الشهوات ، وبانعتاقه
من ربة الشهوات ينال الخلاص .

.....
ما تظنون الاكثر ، ايها التلاميذ ، اماء الخيطات الاربعة ام ما سكتبموه
من دموع ؟ ...
« غوتاما بوذا »

عندما اقول بان اللذة غاية الحياة ، لست اعني لذات الشربين ، او
شهووات الدنس ... بل السلامة من كل الم جسدي ، وكل قلق في الروح .

يكفي الحكيم قليل من الخبز والماء لييجاري الآلهة هناء .

هذا اليوم ... آخر ايام حياتي ، وهو ايضاً يوم سعيد .
« ابيقورس »

لست اشتهي ان اكون صانع هذا العالم : منظر هذا العالم يفتت كبدي !
« شويهور »

ستظلين الى آخر ايامي كحجر الرحي في عنقي . « تولستوي الى امراته »
النساء موسيقى الحياة . « ليجر »

المرأة الجميلة العارية من الفهم خوص من ذهب في انف خنزيرة .
« سفر الامثال »

المرأة ، في نظري ، انبل من الرجل . فيها يتجسد التفاني ، والالم الصامت ،
والايمان ، والمعرفة . وحدها ، اكثر الاحيان ، اصدق من ادعاء الرجل الذي
يزعم لنفسه معرفة اسمي .

وعلى الرجل اذاً ان يحترم المرأة ، ان يكف عن النظر اليها كاداة لذة .
« غاندي »

الوردة الآدمية : زهرة الورد لها اكمام وارج ، ولها ايضاً اشوك حادة . فما
لجماعة الرجال يقيمون الدنيا ويقعدونها كلما بدر من المرأة ما يخر ويغمز الجلد !
« امين نخله »

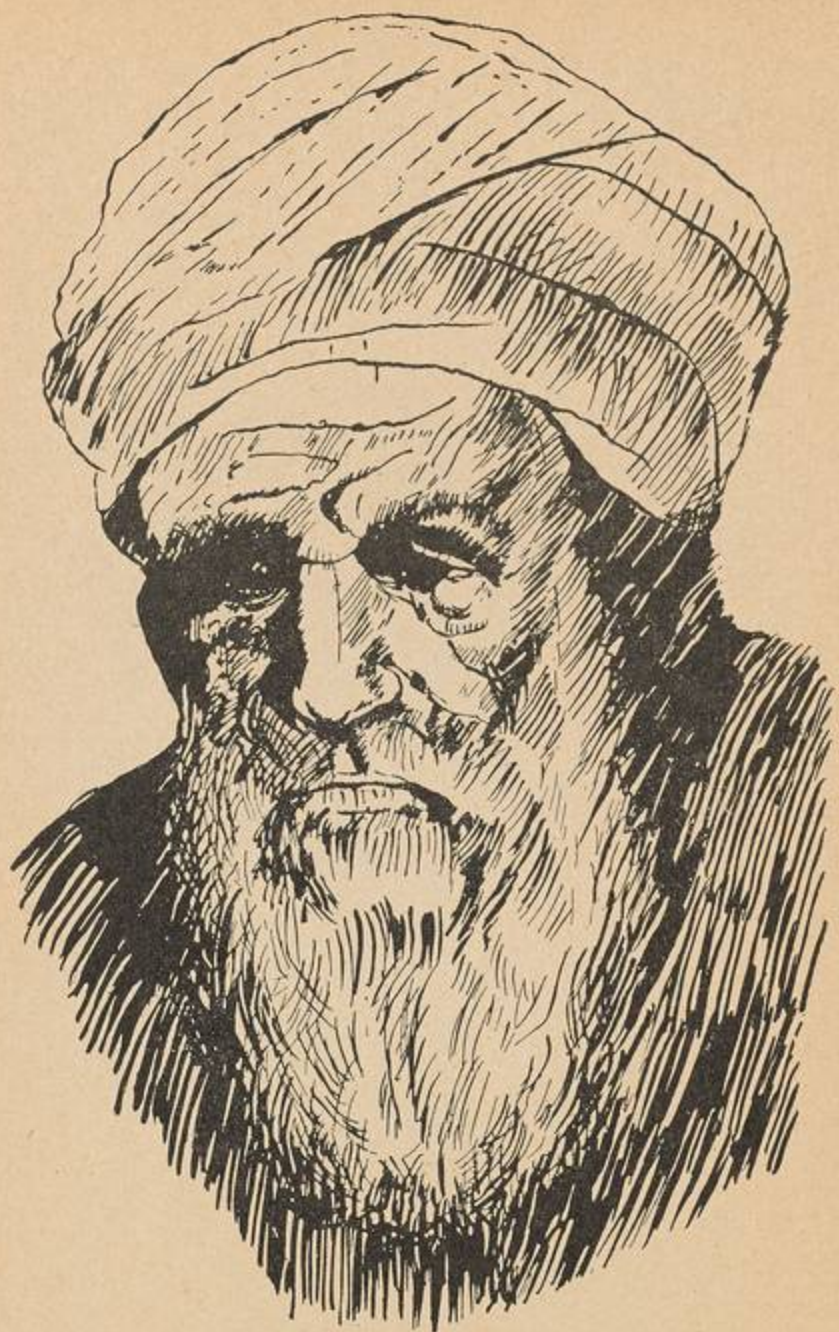
الوحيد كالفلكي : عيناه آهلتان بالنجوم . « هاييل بونار »

ان رجلاً حائناً لافضل من خنزير راض . « ستيارت ميل »

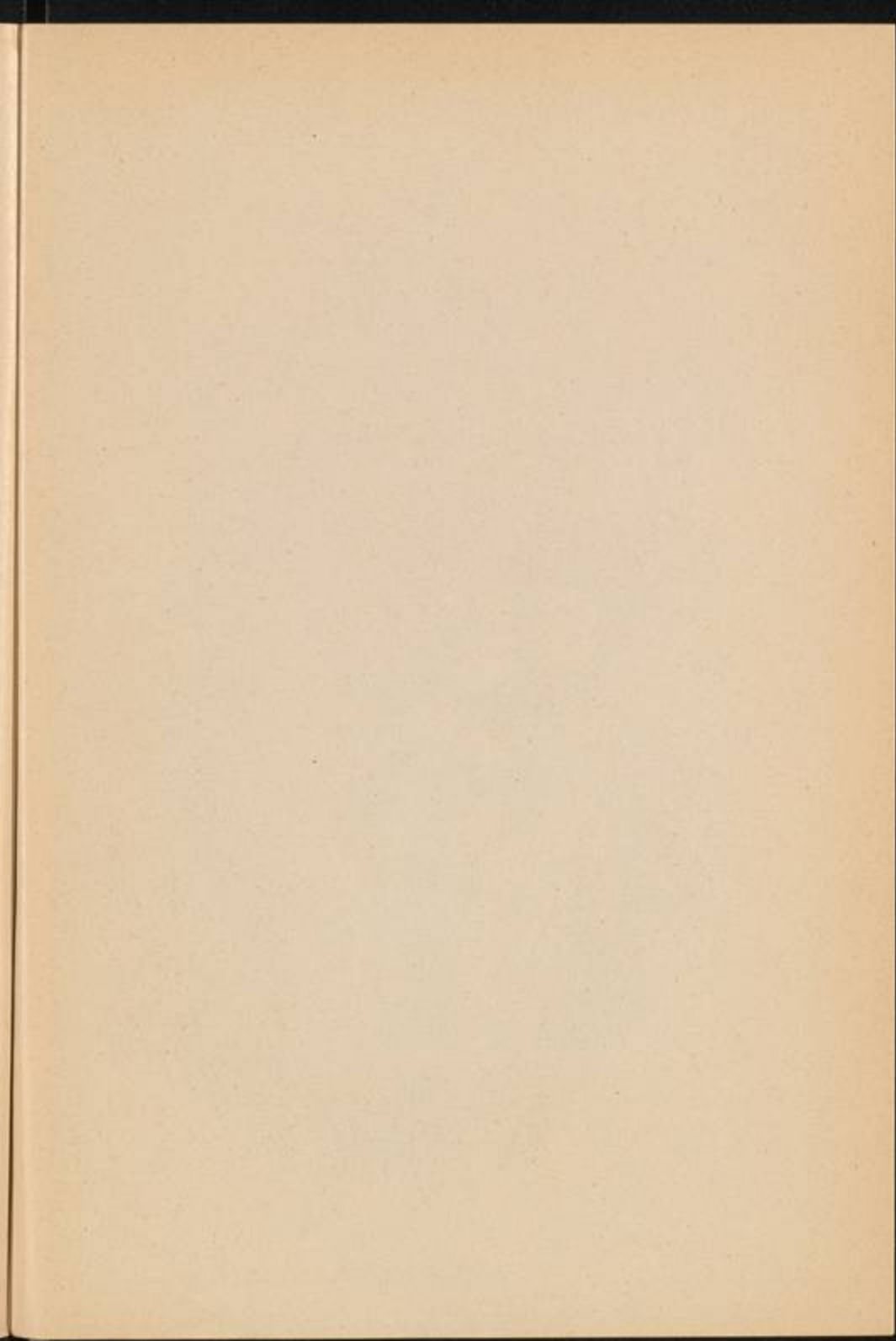
ليست السعادة في ما تملك ، بل في ما لنا عنه غنى .
« موريس بلونداال »

كان ابو العلاء اعشى بين مبصرين ، ومبصراً بين عميان ، وقد قاده هذه
الحالة الى الوحدة ، فالتشويش ، فالكآبة ، فالشك ، فالتمرد .
ان شئت ان ترى المرأة حقيقة ، فتأملها وعينك مغمضتان . « جبران »

نبذته ضوضاء الحياة ، قال عنها وانفرد
وغداً جماداً لا يح ن ولا يميل الى احد . « نعيمه »



ابو العلاء المعري
بريشة جبران خليل جبران



تمهيد^٧

قيل : « الحياة معزَفٌ ذو سبعة اوتار ، ستة منها للالم وسابع للسرور ». اما اذا قَدَّرَ حياة ان تكون كل اوتارها للالم ، فهي حياة غريبة ، وصاحبها بين الناس غريب . ولعل هذه الغربة - او الغرابة - هي ما اغوانا في درس اعمى المعرة^١ ، احمد بن عبدالله ، ابن سليمان ، بن محمد ... الملقب بابي العلاء (٣٦٣-٤٤٩ هـ) (٩٧٣-١٠٥٧) .

لهذا الاعمى شخصية متعددة النواحي ، غنية المظاهر . فانت يمكنك ان تدرس مهارته اللغوية وتعمده التكلف والغريب ، أو ان تدقق في الملاحظة فترى ما في « رسالة الغفران »^٢ من سخرية وكفر ، او ان تطالع ديوانه « الدرعيات » وهمك ان ترى حظه من التقليد في وصف الدروع ، او ان تتذوق فنونه الشعرية في « سقط الزند » وتقف طويلاً في تذوق رثائه لابي حمزة . انما كل هذا لن يطالعك الا الى حد على خفايا هذه النفس ، وآلام هذا القلب ، ولن تظفر بسر هذه الحياة بما فيها من شعور وتفكير ، الا اذا درست « اللزوميات »^٣ .

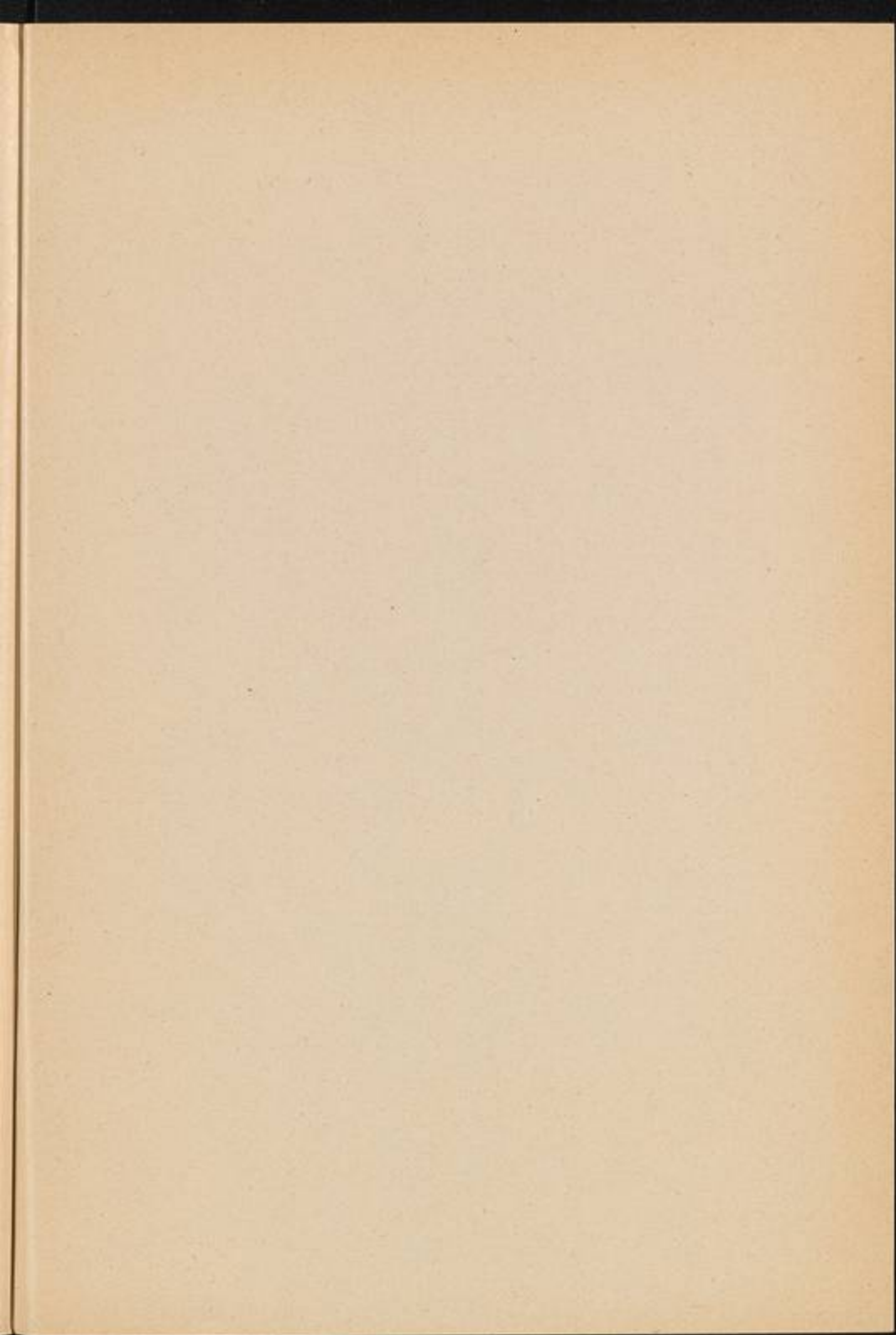
(١) المعرة : مدينة من اعمال حلب ، ولد فيها ابو العلاء ، وفيها مات وقبر .
(٢) رسالة الغفران : كتبها ابو العلاء اثناء عزله ، سنة ٤٢٤ هـ = ١٠٣٢ ، والرسالة ظاهرها طواف في الجنة والجحيم ، وزواية لما يعتقد المسلمون فيها ، وباطنها سخرية بهذا الاعتقاد ، وتهكم لاذع .
(٣) في اللزوميات التزم ابو العلاء ما لا يلزم ، التزم حرنى روى في القافية بدل حرف واحد ، ومن هنا كان اسمها .

واللزوميات ، اهم آثار ابي العلاء واصدقها تصويراً له ، هي بعد فن جديد في الفكر العربي ، فن الشعر الفلسفي . على ان هذه الفلسفة لم تُقصد لذاتها ، ولم تُدرَس بتفصيل في المواضيع وتسلسل في الافكار ، فتؤلف مذهباً متماسك الاجزاء ، متناسق الخطوط ، انما هي صدی حالات نفسية انتابت صاحبها ، فكونت فلسفة اصطبغت بالشعر ، وكثرت فيها المراجعات ، وفقد التأليف^١ . لهذا نحن نمنسخ فكرة ابي العلاء ، اذا حللنا اللزوميات ككتاب فلسفي عادي ، وفصلناها الى اقسام الفلسفة العربية العادية ، لانها قبل كل شيء صدی روح فكّرت كثيراً ، وشعرت كثيراً ، وشقيت كثيراً .

وهذه الناحية هي التي قصدنا اليها جهدنا ، مظهرين ما بين اللزوميات والحياة من صلة ، مؤيدين آراءنا بنصوص مختارة ، تساعد القارئ على فهم هذا الدرس ، وتمكّن عامة المفكرين من الاطلاع على زبدة كتاب ، لا يزال محصوراً على بعض الخواص .

(١) ما اتبع ابو العلاء ، في نظمه اللزوميات ، ترتيب حروف الروي مبتدئاً بالهمزة ومنتهياً بالياء ، بل نظمها بوحى الحالة الطارئة فكرة وقافية ، ثم جمع ورتب . يؤيد هذا ما جاء في مقدمة اللزوميات حيث يقول الشاعر : « وانما وصفت اشياء من العظة ، وافانين على ما تسمح به الغريزة ... ، وجمعت ذلك كله في كتاب سميته لزوم ما لا يلزم . » وفي اللزوميات كذلك ابیات يذكر فيها عمره ، فاذا هو في ابیات متقدمة من الكتاب اكبر منه في ابیات متأخرة ، فقد جاء ، مثلاً ، في حرف الراء : اذا كنت قد جاوزت خمسين حجة ولم تق خيراً فالمنية لي سترُ وجاء في حرف العين ، وهو متأخر عن حرف الراء : شربت سني الاربعين تجرعاً فيا مقراً ما شربه في نابع وزى من باب المستحيل ترتيب اللزوميات ترتيباً تاريخياً .

الليلى العلابى



في وحدة الليل الموحش ، جلس ابو العلاء . انه عائد من سفر
اسرع في العودة واسرع ، ليدرك امأ مريضة وينقذ قلباً عطوفاً ،
القلب الوحيد الذي لا يزال يثق بعطفه ، ولكن فاته ما رجا ، وسلبته
يد الدهر الام ، وعطف الام . ويزه قلبه ، هذا الليل ، مزيج
غريب من الحزن والحلق واليأس : هذا العائد الى بيته الخالي مثقل
بهموم الحياة ، حائق على ابناء البشر ، حائر باسرار الوجود ، اوهى
من ان يحمل مصابه الجديد .

١ - عماء

كان لا يزال في الرابعة من عمره ، عندما أصيب بالجدري
فقاله منه تشويه الوجه وعمى العينين ، او قل فقد الجمال والتمتع
بالجمال .

كم مرة الى الآن سمع الناس يتحدثون عن غواية خط ، او
سحر لون ، فشاقه ان يرى ، وصدده عماء ، فاذا هي غصة وراء
محجرية يغذيها مع السنين لون احمر ضئيل ، هو كل ما وعته الذاكرة
من عهد النور .

وكم مرة الى الآن جالس الناس ، فصادف منهم اعراضاً ، او
استثقل ظله ، فاقام كالغريب بين طائفة المبصرين ، لا يلقي منهم
عطفاً ولا يطيق عنهم بعداً .

ولا نخدعن بتظاهره بالرضى ، وترديده احياناً : « احمد الله على
العمى كما يحمده غيري على البصر » ، فان هذا من باب الكبرياء ،
واصدق منه ابيات يشكو فيها اعمق الشكوى فيقول ، مثلاً :

ولطالما صابرتُ ليلاً عاتماً فتى يكون الصبح والاسفار؟!

٢ - تعلم ورحلات

تعلم هذا الصبي على ابيه لغةً وادباً ، حتى اذا شب سافر الى حواضر الشام ، فاقتبس العلم في حلب ، وزار انطاكية ، واتى اللاذقية. وفي هذه المدينة رأى شجاراً بين الاديان ايقظه من سبات التقليد ، وزرع فيه اولى بذور الشك في الاديان ، فقال ابياته المأثورة :

في اللاذقية فتنةٌ ما بين احمد والمسيح
قسّ يعالج دلبةً والشيخ من حنق يصيح
كلّ يعزّز دينه ياليت شعري ما الصحيح؟!

٣ - موت ابيه

وعاد ابو العلاء الشاب الى المعرّة ، واقام فيها زمناً ، يخالس اهل العلم ، وينضج جنى المعرفة . ومات ابوه^١ ، فكان هذا الموت فراغاً قاسياً في روحه الحساسة ، فتألم ورثا :

ونادبةً في مسمعي كل قينةٍ تغرد باللحن البريء من اللحن .

(١) اختلف في تاريخ هذا الموت ، فمنهم من استند الى معجم الادياب لياقوت ، فجعله سنة ٣٧٧ هـ ، وتمعجب كيف ان ابا العلاء استطاع ، في الرابعة عشرة من عمره ، ان يرثي اياه بقصيدة جمعت بين غرابة اللفظ ومتانته ، وبدا النضج وبوادر الشك في مثل هذين البيتين :

طلبت يقيناً ، يا جهينة ، عنهم ولم تخبريني ، يا جهين ، سوى الظن
فان تمهديني لا ازال مسائلاً فاني لم اعط الصحيح فاستغني!
ومنهم من استند الى كتاب الانصاف والتحرّي لابن العديم ، فعين سنة ٣٩٥ هـ .
تاريخ وفاة والد المعري ، وهو تاريخ يجعل الشاعر في الثانية والثلاثين من عمره ، ويجعل رثاه امرأ مألوفاً . وهذا الرأي احق بالتصديق .

٤ - فقير في بغداد

ومضت فترة من الزمن ، فاذا ابو العلاء يغادر المعرة الى بغداد
سنة ٣٩٨ هـ = ١٠٠٧ .

قال ابو العلاء في اسباب سفره الى حاضرة الاسلام الكبرى ،
بعد ان عاد منها : « احلف ما سافرت استكثر النشب^١ ، ولا استكثر
بلقاء الرجال ، ولكن آثرت الاقامة بدار العلم ، فشاهدت انفس
مكان لم يسعف الزمن باقامة فيه . » واذاً هو ما طمع في جمع
ثروة ، ولا بغى استزادة علم ، وقع من المال بما يسعف معه الزمن
باقامة .

ولكن هذا المال نفسه هو الذي عازه ، فاحال عليه البقاء
في دار العلم ، وانفس مكان !

نفد ما حمله معه من مال ، وأبى ذلّ السؤال والتكسب بالمدح ،
وجود الضيوف ما كفاه ، او كلفه فوق ما يُطيق^٢ ، فاذا الغربية
تقترن بالاقلال .

اشار الى ذلك ، في مسقط الزند :

فاذهل اني بالعراق على شفا رزي الاماني ، لا انيس ولا مال
مقل من الاهلين : يسر واسرة ! كفى حزناً بين مشت واقلال

(١) النشب : المال .

(٢) اضافة الشريف المرتضى في داره . وحدث ان قام جدل حول شعر المتنبي ،
الشريف المرتضى يحط منه ، وابو العلاء يرفع ، الى ان نسي هذا حرمة الضيافة ، فقال :
يكفي المتنبي قصيدته :

لك ، يا منازل ، في القلوب منازل اتفرت انت ، وهن منك اوائل
وفي القصيدة هذا البيت :

واذا اتلك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل
ففهم المرتضى التعريض ، وامر باخراج ابي العلاء ، فأخرج مسحوباً برجله !

واشار ، في قصيدة ودّع بها بغداد ، الى تعلقه باهلها ، ورغبته في الاقامة فيها ، وتوقه الى العودة اليها ، وحوؤل فقره دون العيش في عاصمة الغلاء ، والتمتع بما للعلم فيها من اجواء :

اودّعكم ، يا اهل بغداد ، والحشى على زفرات ما يَسِين من اللذع
اظنّ الليالي ، وهي خونٌ غوادِرٌ ، بردّي الى بغداد ضيقَةَ الذرع
وكان اختياري ان اموت لديكم حميداً ، فما الفيتُ ذلك في الوسع
هو الفقر والغربة ، وهو خبر وافاه بمرض امه ، واذا به يغادر
بغداد سنة ٤٠٠ هـ. ويعود الى المعرة وطنه . عاد ، ولكن امه ماتت
قبل ان يصل .

٥ - موت امه

وموت هذه الوالدة ، التي ترك لاجلها بغداد ، ورجاها فلم يلقها ، كان امرّ جرعة من كاس الهموم التي اعدتها الحياة لهذا القلب الكسير . الا تأمله في هذه الدار الخالية ، آخر سنة اربعمائة ، يفكّر بامّ حملته جنيناً ، وارضعته طفلاً ، ويستحضر بلمحة وداعها الاخير له ، وهفّفها على فراقه ، فيغصّ ويضطرب ، ويبكيها بين يدي الليل بكاء الغريب الوحيد :

فان ينقطع منك الرجاء فانه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر !

وكان الظلام وحده يعي ذلك النحيب .

ويطول الليل على هذا الوحيد الباكي ، لا يستطيع عزاء او نوماً .

ويثبه به الفكر من دائرة بيته الضيق الى مسرح العالم الفسيح ،
ومن مصائب حياته الخاصة الى مصائب الناس اجمعين ، فتمر امامه
مشاهد من حياة الافراد والجماعات ، كلها سوداء قائمة كسواد ليله
القاتم .

١ - اين الخير ؟

لقد فسد الانسان ، ففسدت كل مظاهر حياته : ساء حكمّاه ،
وضلّت اديانه ، وغلب شرّه ، وجنت نساؤه :

١ - فساد الطبع :

صيغ الانسان من وسخ ، وجبل من غشّ ، طبعه متغلب على
عقله ، وهواه على صلاحه . الشرّ في الجدلّ القديم ، وكلّنا ابن
لثيمة ، ومدح الناس لا يغسل الانجاس :

جسمي انجاسٌ فاسرّني اني بمسك القول ضمّختُ
من وسخٍ صاغ الفتى ربه فلا يقولنّ توسّخت!

٢ - فساد السياسة :

والحياة السياسية تفكّك ، وفوضى ، وظلم .
تفكّكت الامبراطورية ، فاذا الامة الاسلامية دولٌ مبدّدة ،
واوضاع واهية .

الشام ، موطنُ المعرّي ، يغزوها الروم ، ويطمع فيها فاطميو
مصر . وقد توصل هوّلاء الفاطميون الى عزل ابي الفضائل ، حفيد

سيف الدولة ، على يد غلامه لؤلؤ ، فاصبح العبد سيداً ، وقويت
شوكة الشيعة .

والعراق حكمها بنو بويه ، واصبح الخليفة آله في ايديهم ،
يتركون له الاسم ، ويمارسون السلطان .
وهي السلطان السياسي ، فاضطرب جبل الأمن ، وعمت
الفوضى :

ان العراق وان الشام مذ زمنِ صفرانِ بما بهما للملك سلطانُ
وطغى حب اللهو على الحكام ، فارهبوا الناس بالملكوس ينفقونها
في عزف وسكر ، واهملوا شؤون الرعية ، وعبثوا بمصالحها :

مُلّ المقام ، فكم اعاشر امةً امرت بغير صلاحها امرأوها
ظلموا الرعية ، واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها ، وهم اجراؤها

٣ - فساد الدين والخلق :

والحياة الدينية والخلقية خلاف وضلال ، رياء وفساد .

الدين تقليد موروث ، يعتنقه الابناء دون ان يحكموا فيه
عقلاً ، او يرفضوا خطأ ، وكأنهم على يقين . وهم بعد لم يطمئنوا
الى دين واحد ، فاذا لكل مصر دين ، وفي كل دين مذاهب ،
تختارها العقول مدفوعة بنزعاتها الخاصة ورغائبها الدنيوية . فنحن اذا
نظرنا الى الاسلام وحده رأيناه فقهاء في جدال ، ومتكلمين في
خصام ، ورواة حديث في ارتباك ، ومتصوفين يخدعون الناس ،
ورأيناه يكفر باقي الاديان وتكفره ، ويضلّلها وتضلّله :

دين وكفر وانباء تقص وفر قان ينصّ وتورا وانجيل
في كل جيل اباطيل يدان بها فهل تفرد يوماً بالهدى جيل ؟

والناس مع ذلك لم يراعوا حق دين، ولم يرتدعوا بنهي نبي ،
وهم الى ذلك مراؤون يدعون الفضيلة ويعطون الخير . ناسكهم غير
تقي ، وعابدهم شهوة مقنعة ، ورجال دينهم هواة مجدٍ ومال ،
وكلهم عن فرائضهم غافلون ،

فلا زكاة ولا صيام ولا صلاة ولا طهور

بار فيهم الدين فبارت اخلاقهم :

اقرباؤهم ظالمون ، يعتدون على الضعفاء ، ويتنازعون خيرات
الدنيا تنازع كلاب جيفة .

وضعفاؤهم منافقون ، ينافقون القوي ، وينافقون الصديق ، عازتهم
القوة فعمدوا الى الكذب والحيلة .

وكلهم حسد وبغض ، لا يريدون لغيرهم خيراً ، او يتخلّون
له عن خير ،

افضل من افضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب!

٤ - فساد المرأة :

والمرأة شرّ البشر .

حبّتها الطبيعة حسناً فما قنعت به ، تخضّبت وتضمّخت ، خطرت
بلباس وازدهت بجلى ، فاذا هي فتنة تسعى :

لم يكفها نور خديها ، ونور نقأ في ثغرها ، فاصارت عَشْرَها عَيْنًا^(١)
كانت اضرّاً لأهل النسك من صنمٍ فليبعد الله تلك الخسود والصنما!
وهي لا تتحصّن ، ولا تصدّ ، بل هي اغراء صارخ ، وهو

(١) نقأ : عظم : اي اسنانها . عشرها : اناملها العشر . عينا : شجرة حمراء
التمر شبه بها الانامل المخضوبة .

مشاع . الى الحمامات ترفل باكامها ، وفي الاعراس تزهو كالطاووس .
الحج فرصة لعرض الجمال ، والمعابد اماكن مواعيد . لا تمنع رضاها
قتى ، وابن عشر منها في خطر ، والخليل احظى من الخليل .
وان تزوج المرأة تضيف عناء الى فساد . انها ترهق الشاب
ياكلها وحلاها ، وتمل حديث الشيخ راجية في النفس حتفه . تلد
البنين فيعتمون ، ويشكلون . وتلد البنات فلا ينفعن في حرب ، وقد
يتأيمن ويسيين . وما اتعس الرجل ان اهاج غيرة المرأة باخرى ،
وما اشقاها معاً ان هو عدد الضرائر . الخير للرجل الآ يتزوج ،
وان تزوج الآ يلد .

وخير للفتاة ان تلزم البيت ، وان تغزل وتنسج . ما لها وللعلم
تزيد به اذاها ، وتفقده من يعلمها لبه ، وتجهدها عقلها الضعيف ؟ اما
الصلاة فلتلقن تلاوتها على عجوز ، ولتدرس آياها على كهل ضرير .
المرأة في ذاتها مغرية ، وفي المجتمع مفسدة ، وفي الاسرة متعبة ،
وفي العالم اداة نسل وشقاء .

فاحبس المرأة عن المجتمع تخفف فسادها ، ولا تتخذها زوجاً
تخفف عنائك وتقضى على النسل والشقاء :
بدء السعادة ان لم تخلق امرأة !

ب - اين السعادة ؟

والناس بعد ، على تحررهم من كل قيد ، واغراقهم في اشباع
الشهوة ، لم ينجوا من قيود الحياة ، ولم يخففوا من شقاءها .
لقد اتوها كارهين ، ويكابدونها حانقين ، لما تكلفهم من عناء
البقاء ، وعناء السعي لحفظه . اليس عناء كبيراً هذا الجسد اليومي

لكسب الاكل واللباس؟ اليس همّاً مضمياً هذا الخطر الدائم على سلامة البدن ودوام الصحة؟ ألا نعاني مدى الحياة آلاماً مبرحة من عضو يُشَلّ ، او نظر يكفّ ، او مرض يدهم؟ أو ليس أبو العلاء نفسه أقوى الناس شعوراً بحاجة القوت والكساء ، وجناية المرض على الجسد؟

وليست حاجات البقاء مصدر آلامنا الكبرى ، بل هناك حاجات أكثر إلحاحاً ، واشدّ إيلاًماً : ان في اعماقنا طموحاً دائماً الى الافضل ، واملاً لا حد له بتحقيقه ، هما ينبوعا شقائنا الاعظم . يتوق الانسان ابدأ الى السلطة والمجد ، الى الغنى والنعيم ، الى الحب واللذة ، فاذا السلطة ظل ثقيل على الناس يتملصون منه ما قدروا ، واذا الغنى حظ مقدور وحسد مجلوب ، واذا الحب نفاق صديق او خيانة زوج ، واذا الانسان يلاقي ابدأ مرارة الاخفاق وعناء الجهد ، وكأن ادراكه السعادة ، كادراكه الحق والفضيلة ، وهم من اوهامه الكبرى .

ج - اين الحق؟

واذا كان هذا هو الانسان ، حكمه ظلم او فوضى ، ودينه تعدد وتقليد ، وخيره رياء ، وحياته شقاء ، فما الغاية من وجوده ، وما القصد من خلقه؟

١ - وجود الله :

انه لا ريب في وجود اله قادر حكيم ، ابداع هذا العالم ، ونظّم ارضه وسماؤه ، فآتى آيةً في الجمال ، ولساناً ناطقاً بملكه :

فأهلل المنيفُ ، والبدر ، والفر قدُ والصبحُ ، والثرى ، والماء
والثرياً والشمسُ والنارُ والنشرةُ^{١١} والارضُ والضحى والسماءُ
هذه كلها لربك ما عا بك في قول ذلك الحكماء
وقد يستنتج المعري وجود الله من ندامة الملحد ساعة الموت :
إذا كنتَ من فرط السفاه معطلاً فيا جاحد اشهد اني غير جاحد
فاني رأيت الملحدين تعودهم ندامتهم عند الاكف الواحد!

٢ - عنايته :

ولكن كيف يكون الله قادراً حكيماً ويخلق هذا الانسان يعيث
في ارضه فساداً ، ويلقى من الالم احوالا ، لا الاحياء يأمنون شره ،
ولا هو يأمن الاذى ؟ لقد اختلق الناس وعللوا ، ولكنهم ما اتوا
ببقيين او ادركوا سرَّ عناية :

يخبرونك عن رب العلى كذباً وما درى بشؤون الله انسان!
لا نعلم لماذا اتينا هذا الوجود ، ولا نعلم هل لنا بعد حياتنا الدنيا
وجود .

٣ - مصير النفس :

ان الناس قد اختلفوا في امر النفس ، بعضهم قال بالخلود ،
وبعضهم انكر وساوانا بالنبات مصيراً .

ودان اناس بالجزاء وكونه وقال رجال : انما اتم بقل
وعقلُ ابي العلاء متردد تردد الناس :
مرةً تسمعه يقول ببناء النفس ، فيجعل منها قبساً يطفئه الردى ،
او انفاساً تفتى بالزفير ، او ناراً تحمد بالموت :

(١) نثرة الاسد : كوكبان بينها قدر شبر .

وجسمي شمعة والنفس نار اذا حان الردى خمدت باف!
 ومرات يدب اليه الورع ، ويخشى مغبة الرأي ، ويقلقه ندم
 الجاني ساعة الموت ، فيتكلم كلام مؤمن بالبقاء والجزاء :
 وهي الحياة ففحة او فتنة ثم المات فجنّة او نار
 ومرات اخرى ، تتقابل اسباب الفناء والبقاء ، تتقابل ولا ترجح
 كفة ، فيتساءل تساؤل العاجز الحائر :
 ارواحنا معنا وليس لنا بها علم فكيف اذا حوتها الاقبر؟!

٤ - بعث الاجساد :

والامر في بعث الاجساد ادعى الى الريب ، وابتعث الى التردد .
 اجل ان الله قادر على كل شيء ، قادر على جمع الجسم وحياته ،
 ولكن هل يكلف نفسه جمع هباء لعبت به ايدي الرياح ، واي
 ارض تسع سكان التراب ان هم بُعثوا احياء :
 لو هبّ سكان التراب من الكرى أعيا المحلّ على المقيم الساكن!

٥ - الحرية :

ثم ما يحدث لنا ، بعد الموت ، إن تخلد نفوس ، وتُبعث اجساد ؟
 هل من جزاء ينتظرننا ، وهل نحن احرار في ما نعمل للنسأل عن
 افعالنا ، ويستقيم جزاء ؟
 ان الناس اختلفوا رأياً في الحرية ، فمنهم من اثبت ، ومنهم من
 نفى :
 وقيل : نفوس المرء تستطيع فعلها وقال رجال : بل تبين جبرها

وابو العلاء يميل ميلاً قوياً الى اهل الجبر : أما كانت حياته
سلسلة مصائب لم يكن له فيها رأي ؟ ألا يرى الفساد مستبدًا بالناس ،
والهوى متغلباً ؟ ألا نولد جبراً ، ونموت جبراً ؟ فلم لا تكون حياتنا
كلها جبراً ، لا نعمل الا بقضاء ، ولا نتحرك الا بقدر ؟
ما حرّكت قدمٌ ، ولا بسطت يدٌ الا لها سبب من المقدار
على ان ابا العلاء ، على ميله القوي الى الجبر ، لا يجزم جزم
اليقين . ذاك ان القول بالجبر يتنافى والقول بالجزاء ، والا كان الله
ظالماً غشوماً :

ان كان من فعل الكبائر مجيراً فعقابه ظلم على ما يفعل
واذا لم تكن مسؤولة ، ولم يكن جزاء ، فالخير والشر سيان ،
وليفعل الانسان ما يشاء ! ولكن إن يجزؤ غير ابي العلاء على هذا
القول ، فهو لا يطمئن اليه ، ويتورع عن فعل الشر ، ويخشى عقاب
الله ، ويمسك عن تأكيد الجبر :
وان سألوا عن مذهبي فهو خشية من الله ، لا طوقاً ابث ، ولا جبراً !

٦ - العقل :

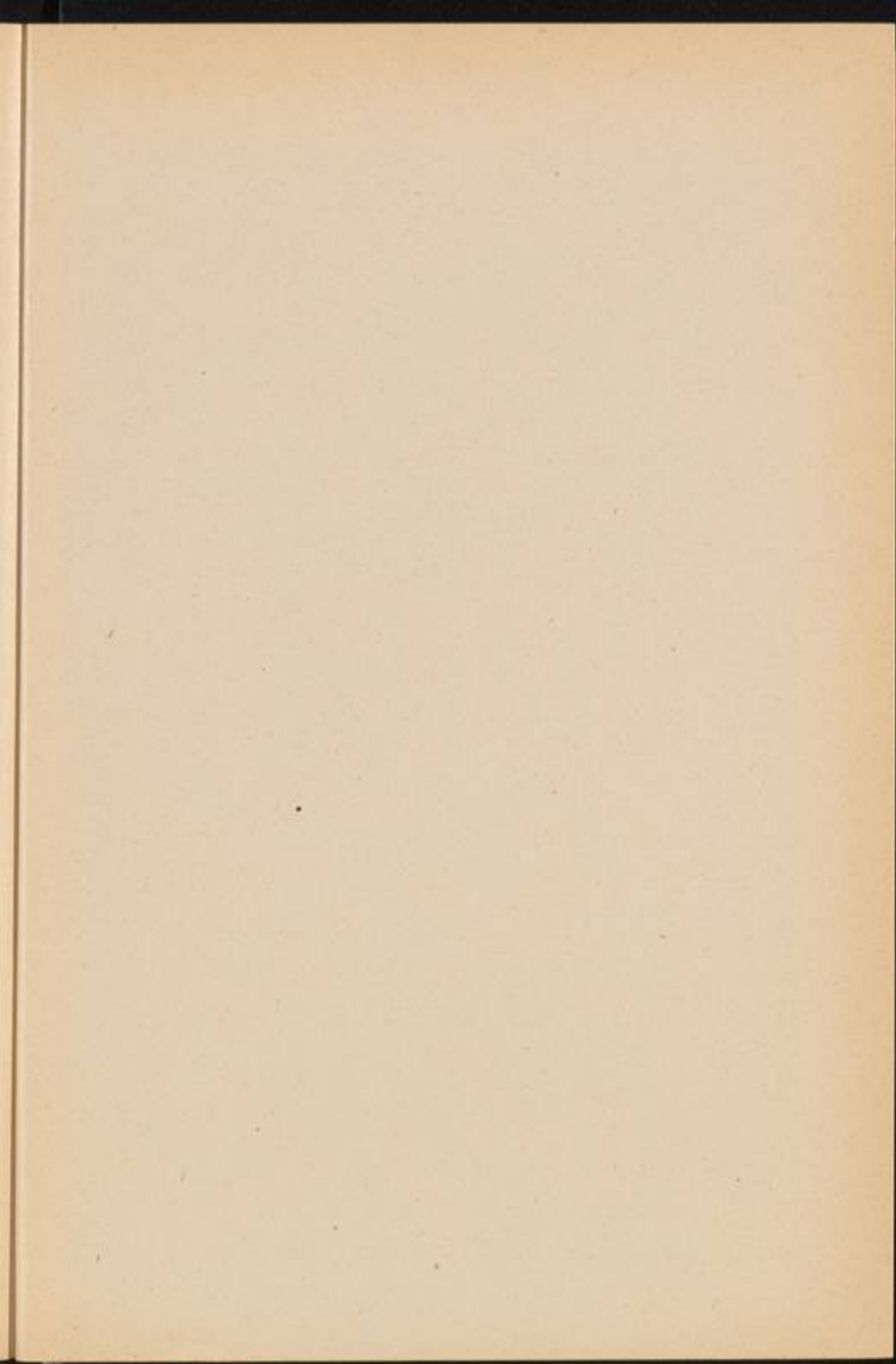
كل هذه مشاكل يقف العقل امامها متردداً حائراً . وان هذه
الحيرة لامر محتوم . انت لا تركز الى غير عقلك في البحث عن
الحق ، ولا تثق بنبي او امام . وعقلك هذا عاجز محدود ، لا يرى
ما حجب الغيب ، ولا يبصر ما جاوز المحسوس ، فكيف تكلفه
فوق طاقته ، كيف تسأله عن اسرار الله ، وتطالبه بحل مشاكل
الآخرة ؟

اذا مرّ اعمى فارحمه وايقنوا وان لم تكفوا ، ان كلكم اعمى

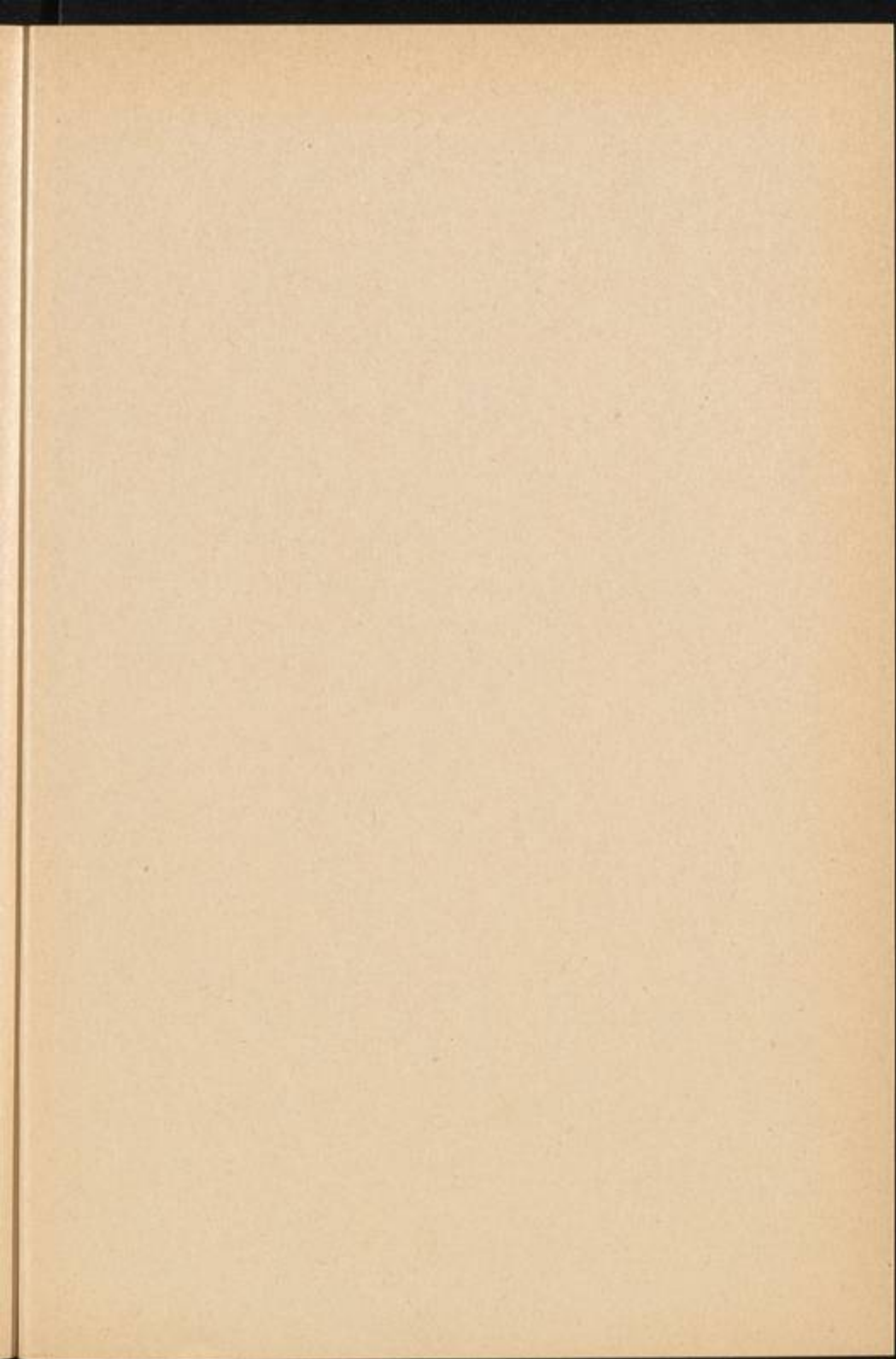
○

وجهد ابو العلاء كالصنم ، وظل جامداً ساعات . وكان ما
يكتنف عناية الله من اسرار ، ويساور مصير الانسان من غموض ،
ويلقى العقل في حلّ معضلاته من خيبة ، ظلمة جديدة في عينيه
الغائرتين ، وفي قلب هذا الليل الوحيد من ليالي حياته ، وكأنه نفسه
قطعة من الشقاء غشيها الفساد ، وغمرها ظلام قصي ...

ثم استولى عليه النعاس لما قاساه من سفر ، والمّ به من حزن ،
وعاناه من سهر وقلق ، فاعمض جفنيه ، ونام ، علّ النوم ينجيّه
هنيئة من هموم الحياة ، ويلهمه طريق النجاة من شك ، ومن ألم .



الفجر العَلَّامِي



مضى الليل ، واطلّ الفجر ، واستفاق ابو العلاء ..
وفي لحظة ، عاودته خواطر الامس ، وتبلورت في مشكلتين ،
وبدت له بوادر حلول .

اما المشكلة الاولى فعقلية تتناول صحة الاديان ، ومصير الانسان ،
وما يتبع ذلك من رأي في الخير ، وسلوك في السيرة . واما المشكلة
الثانية فشعورية يتوقف على حلّها الخلاص من شقاء الوجود ، وفساد
الناس ، والبلوغ بالعيش الى هنا حال :

١ - المشكلة العقلية

اما المشكلة العقلية فقد حلّها ابو العلاء على الوجه التالي :

الاديان

الدين كذب ورياء . حب الكسب اوجده ، وطلب النفع ابقى
عليه ، وسلطان التقليد مكّن له في النفوس . ويكفيك لتطرحه ما
تجد بين الاديان من تباين ، وفيها من مذاهب ، وفي اعتناقها من
تقليد ، ولدى اهلها من نفاق ، وفي قرارة العقل من انكار :

هفت الحنيفة ، والنصارى ما اهدت ويهود حارت ، والمجوس مضلّته
اثنان اهل الارض ذو عقل بلا دين ، واخر دين لا عقل له !

المصير

اما مصيرك بعد الموت فلن تستطيع فيه بتاً . انك ترجح خلود النفس ، ولا تسلم من الريب ، وتميل الى انكار البعث دون ان تستبعد امكانه ، ويغلب عليك الاعتقاد بالجبر دون ان تطمئن الى مساواة الخير بالشر .

ومهما فكّرت في هذه المشاكل ، ستظل متردداً ، تثبت مرةً وتنفى اخرى ، تتساءل وتتناقض ، ولا تجد من حيرتك مخرجاً .

الحل العملي

على ان واقع الحياة يقضي بالعمل ، والعمل قضاءً على كل حيرة ، واختيار بين مختلف السبل .

وابو العلاء سيظل ، حتى آخر حياته ، متردد العقل في مسائل الغيب ، حائراً امام اسرار الآخرة ، ولكنه لن يستطيع ان يحجم عن كل عمل .

وابو العلاء قد اختار ، وقد قاده في اختياره عقل ، وقاده شعور . انه سيرضخ لشريعة الوجود ، ويتحمل ضنك الحياة^(١) .

وانه سيطلب الخير ، ويؤثره على الشر . اجل لن يكون خيره ما تفرضه الاديان ، لن يصوم ولن يحجّ ولن يصلي ، لانه قد خلع كل دين . ولكنه سيتبع في ذلك بعض ما يسنّه العقل : لن يظلم ، ولن يكذب ، ولن يحسد ، ولن يفعل بالغير ما لا يهواه لنفسه .

(١) ان فكرة الانتحار قد خطرت لابي العلاء . فقد قال في كتاب الفصول والغايات : « لو امنت التبعة لجاز ان امسك عن الطعام والشراب حتى اخلص من الحياة » ، ولكن ارب غوائل السبيل . « وجاء ، في رسالة منه الى ابن الفارح : « قد كدت الحق برهط العدم ، من غير الاسف ولا الندم ، ولكن ارب قدومي على الجبار . »

وابو العلاء سيعمل الخير لاسباب :

السبب الاول هو ان الخير جميل في ذاته ، والشر قبيح في ذاته ،
واذاً فعل الخير واجب لانه خير ، وترك الشر واجب لانه شر :

فلتفعل النفس الجميل لانه خير واحسن ، لا لاجل ثوابها .

والسبب الثاني هو ان فعل الخير اضمن وآمن . ما دام العقل
لا يقوى على الجزم في مصير الانسان ، فمن الحكمة الا نتعرض
لعقاب ابدى ، ونجازف دون سبب بهناء ممكن :

قال المنجم والطبيب كلاهما : لا تحشر الاجساد اقلت : اليكما

ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالحسار عليكما

ان لم تعد بيدي منافع بالذي آتي ، فهل من عائد بيديكما؟^{١)}

والسبب الثالث هو ان فعل الخير ادعى الى اطمئنان النفس :

هل فكّرت مرة في الموت ؟ ام هل رأيت شخصاً حضرته المنية ؟

(١) هل الله موجود ام لا ؟ هل النفس خالدة ام لا ؟

هب كلا الفرضين غير ثابت ، وان العقل لا يرجح نفياً او اثباتاً ، فان ما
يحكم به العقل ، وتوجيه الحكمة هو ان نختار عملياً آمن الطرق ، ان نؤمن بالله ونتقيه ،
وان نستعد حياة اخرى . ذلك ان هذا السلوك لا يعرضنا لخسران اذا لم يكن اله ، ولا
نفس خالدة . اما اذا سلكتنا العكس ، وكان الله موجوداً ، والنفس خالدة ، فاننا
نعرّض انفسنا لعقاب عادل ، وعذاب نهائي . سيلهون

ان الله اما موجود واما غير موجود ، فالى اي الفرضين نميل ؟ هب العقل لا
يستطيع في المسألة يتأ... فانه يجب ان تراهن ، لانك على الرهان مضطر ...

ما الريح وما الخسارة ، اذا راهنت ان الله موجود ؟ انك ان تريح رحمت كل
شيء ، وان تحسر لم تحسر شيئاً . راهن اذا ان الله موجود ولا تتردد !

— هذا حسن عجيب ! نعم ، يجب ان اراهن ، ولكن الا اخطر في المراهنة ؟

— اسمع ! انه حين يستوي حظك من الريح والخسارة ، وتراهن على حياتين
بحياة ، فالمراهنة معقولة . وان راهنت على ثلاث ، فالمراهنة واجبة ، لانك مضطر

الى المراهنة ، ولان حظك من الريح والخسارة متعادل . وما القول اذا راهنت بحياتك
الواحدة على حياة ابدية وهناء ابدى ؟ ...

امن الممكن ان نقصر اعمالنا على ما هو اكيد ؟ ... كم نجازف ونخاطر ، في
الاسفار ، وفي الحروب ... ؟ !
بسكال

ان شعوراً قوياً ينتاب النفس في تلك الساعة ، شعور الخوف من الحساب ، والندم على ما اتينا من اثم . فهلا اهتدينا بشعورنا هذا ، ووقينا انفسنا سوء مصير ؟

واذا سيعاني ابو العلاء البقاء ، وسيعمل خيراً رآه ، وسينتظر ما ينجي له الغيب .

٢ - المشكلة الشعورية

على ان حياته لن تكون بعد اليوم مباحةً بعلم زاده شعوراً بالجهل ، او تفتيشاً عن شهرة اخطأها في بغداد نفسها ، او معاناة للحياة العائلية والاجتماعية كما اعتاد ان يفعل الناس .

انه سيقاسي البقاء ، ولكن بعد ان يخفف ثقبيل وطأته ، ويستأصل جرائم الامه ، فيصل الى هدوء الروح ، ونعيم القلب الخالي . في الناس ادواء قديمة ، شقوا في حبا ، وخنموا من نتنها ، وهم عن مداواتها عاجزون ؛ اما هو فسيعالجها العلاج الشافي الوحيد ، علاج الخنق والقطع ، مهما كلفه ذلك من وحشة وحرمان .

المال

من ادواء الناس القديمة حب المال ، يريدون به رخاء عيش وضمان غد . ومن حق الانسان ان يبحث عن قوته ولباسه . والا يكون معوزاً متسولاً . ولكن لم الاسراف في رقيق المأكل وناعم الملابس ، ولم الخشية القلقة من عوز الغد ؟ ان هذا الاسراف لحاجة دائمة الى الثروة ، وان هذا الانسان المجهود ليكفيه عناء اليوم وشره .

هذا جناه ابي عليّ وما جنيتُ علي احد^١

٥

ولكن الموت ، نهاية كل جهد وامل ، هو ايضاً نهاية كل حسد وحقد ، ولهذا تسابق الناس الى ماتم هذا المظلوم ، تتأسف عليه الجماهير ، ويرثيه الشعراء .

ومن احسن ما قيل في رثائه ابيات ابي الفتح الحسن بن ابي حصينة من قصيدة :

العلم بعد ابي العلاء مضيّعُ والارض خالية الجوانب ، بلقع
أودى ، وقد ملأ البلاد غرائباً تسري كما تسري النجوم الطلّع
ما كنت اعلم ، وهو يُودع في الثرى ، ان الثرى فيه الكواكب تودع
لو فاضت المهجات يوم وفاته ما استكثرت فيه ، فكيف الادمع ؟
رفض الحياة ، ومات قبل مماته ، متطوعاً بابر ما يُتطوع
قصدتك طلابُ العلوم ، ولا ارى للعلم باباً بعد بابك يقصر .

(١) لم تنفذ وصية ابي العلاء ، واستبدل البيت بهذه الكلمات الباهتة : هذا قبر ابي العلاء بن عبد الله بن سليمان .

خلاصة ونقد

عرضنا آراء ابي العلاء في صراحتها النابية ، لم نلطف ولم نهمل ،
لثلاث نُسبهم باناً نشوء التاريخ .

لا بل جمعنا من آراء ابي العلاء ما لم يجمع ، ونسقنا ما لم
ينسق ، وبرزنا افكاره في شبه مذهب متماسك^(١) .

واهم ما في هذه الافكار لوان :

١ - التشاؤم

لتشاؤم ابي العلاء بواعث عامة وخاصة :

(١) تساءل كثيرون : هل ابو العلاء فيلسوف ، وتباينوا في ذلك آراء .
رأت فئة ان الفيلسوف من يتعرض لمعضلات متصلة بطبيعة الكون والانسان ،
فيري لها حلولاً ، ويؤيد حلوله ببراهين ، ويعرض كل ذلك في شكل مذهب . وهذه
الفئة رأت ان ابا العلاء قد تعرض لمعضلات ، ولكنه لم يستقر دائماً على حلول ، ولم
يعط عادة براهين ، وخلا عرضه من كل تأليف وتفسير . ولهذا انكرت على ابي العلاء
هذا اللقب .

ورأت فئة اخرى ان الفيلسوف من كانت له نظرة في الحياة والبشر ، ومن
استنتج من نظره سيرة ، واخضع هذه السيرة نفسه ، فعاش آراءه ، ولام بين فكره
وعمله . واستناداً الى هذا يكون ابو العلاء من احق المفكرين بلقب فيلسوف .
وعندنا ان الخلاف ليس في تقدير ابي العلاء بقدر ما هو في تحديد الفيلسوف .
وحين يختلف التحديد تختلف النظرة حتماً .

ورأينا في النظرتين هو هذا : ان عقل الانسان ليري ، وادارته لتعمل بما يرى
العقل . وعليه لا يكفي الانسان ان يبدع النظريات الشاذة ، ويبني البناء المرصوص ،
اذا كان لا يخضع ارادته لعقله ، وسيرته لفكره . واذا الفيلسوف الاكبر هو الذي
فكر وبني ، وهو الذي عمل ايضاً . على كل فلسفة ان تتكامل بالحكمة . واذا صحت
هذه النظرة ، كان لنا ان نعيب على ابي العلاء برده ، وتناقضه ، وتفكك آرائه ،
كما كان علينا ان نقدر ما انتهى اليه من حكمة ، وما فرض على نفسه من سيرة .
وكم هم الفلاسفة الذين ادركوا الكمال ، الذين بنوا للفكر صرحاً ، وعاشوا ضمن ذلك
البناء ؟

ان ابا العلاء ، كفيلسوف نظري خالص ، دون كبار الفلاسفة واقرب الى فئة
السفسطائيين والمتشائمين . اما ابو العلاء الحكيم فيهب منك مواطن شعور ، ويستهيوك
بما بلغه من هدوء .

فالبواعث العامة ما خبره في انسان بيئته من ضروب الفساد ،
وفي حياة البشر من الوان الشقاء .

والبواعث الخاصة ما ألمّ به من بلايا ، من عمى وفقر حلالا دون
متعات وهناء .

على ان كثيرين خبروا ما خبر ابو العلاء ، ويُلوا بما بُلِي ،
ولم ينقموا ويتشاءموا .

هو مزاج ابي العلاء ، وهو احساسه المرهف الدقيق ، جعلاه
يتأذى بما لا يتأذى به الآخرون ، ويتألم حين لا يتألمون ، فاذا به
يضخّم ما خبر ورأى ، ويعتمّ ما ضخّم على كل انسان ، وكل
زمان ومكان ، واذا به ينقم على كل البشر - ينقم على المرأة خاصة^(١) -
فيعتزلّ البشر ، لا يلقي شرّهم او يشاركهم همهم ، او يأمل منهم
حناناً او حباً ، واذا به يكره الحياة نفسها ، فيؤثر العدم على الوجود ،
وضجعة الموت على هموم البقاء .

(١) نقم على المرأة نقمة راعب عاجز استغوى فاغوى ، وورد فا ارتوى ،
فدم وجار ، وسب سباب ذي ثار .

والحق هو ان المرأة خليقة مزهوة ، وان هذا الزهو لطلاء يحجب عن الرجل ما
ما فيها من تفران وحنان ، ويخدعه غالباً عن نياتها ، فيتوهها شهوة دنسة يوم لا تنوي
ان تكون سوى الهية للعين ، وزينة الحياة الدنيا . وانك لتفهم هذا الزهو اذا فكرت
بان سحر المرأة الاكبر لني جاهلها ، وان هذا الجمال قصير العمر ، سريع الدثور ،
وان المرأة يوم ترهوه ، وتبالغ في الزهو والاغراء ، تحاول ان تموض عن قصر وقتها
الفتان بخصب الحياة الزاخرة المصخاب . لذلك كان رقي المرأة العقلي - ومجد العقل
ابقي من سحر الجمال - افضل دواء لهذا الزهو ، وكان العلم خير دافع الى الرزانة
والخشمة . لقد ضل ابو العلاء كثيراً ، يوم قضى على المرأة بالجهل ، ونصح بعزلها
عن المجتمع . المرأة رفيقة الرجل ، وام الابناء ، واي هناء للرجل في رفيقة ساذجة ،
ام أي خير للابناء في مربية جاهلة ؟ والمرأة انسان كالرجل لها حقه في العلم ،
والحرية ، والكفال . وعفاف المرأة عطر يضان في القلب ، وتحرص عليه الروح ،
ان هو افلت الى الخارج لم تعمقه ابواب ، او يحفظه قناع .

الشكّ انواع :

منه حقيقي ومنهجي : الاول عجز العقل عن حكم يقيني ، والثاني توقّفه عن الحكم ريثما تؤيده ادلة يقينية .

ومنه عام ومحدود : الاول عجز العقل عن تأكيد ايّ شيء ،
 نفيّاً او اثباتاً ، والثاني عجزه عن تأكيد شيء في مسائل معينة .
 ومنه دائم وعابر : الاول يرافق صاحبه حتى نهاية العمر ، والثاني
 ينتابه فترة ويزول .

وإن ننظر الى شكّ ابي العلاء ، على ضوء هذه التحديد ،
 نثبت ما يلي :

١ ما كان شكّه عاماً : ما شك في العالم المحسوس ، ولا في
 خالقي له قادر حكيم .

٢ شكّ في الاديان شكّاً عابراً : آمن بدين ابويه صبيّاً ،
 وشكّ فيه شابّاً ، وانكر كل دين ، عهد النضج ، منتقلاً هكذا
 من ايمان الى كفر ، وكلاهما يقين .

٣ شكّ في ما يتعلق بالمصير شكّاً دائماً : لمّ خلقنا الله ؟ هل
 تخلد نفوسنا ، وتبعث اجسادنا ؟ وهل نحن احرار نسأل عما نعمل ،
 نُعاقب ونُثاب ؟ يُعجزه الجواب عن هذه الاسئلة ، ويتردد بين شتى
 الحجج ، فاذا هو يتساءل ، واذا هو يتناقض : انه يتساءل ، لان
 الادلة تتقابل ، تتقابل وتتكافأ . وانه يتناقض ، لانه يقتنع مرة بدليل
 فيثبت رأياً ، ويقتنع اخرى بدليلٍ معاكس فيثبت رأياً معاكساً^(١) .

(١) نحن لا نعتقد ان تقيّة ابي العلاء - اي حرصه على كتمان بعض ارائه - هي
 سبب ما نرى لديه من تردد وتناقض ، لأن في شعر ابي العلاء انكاراً لجلّ عقائد الاسلام ،
 بل للاسلام نفسه .

اما هو فلديه وقف يدر عليه نحو ثلاثين ديناراً في السنة ، وانه سيرضى بهذا الربيع الزهيد ، ينال به قوت اليوم ، وثوباً من القطن الخشن . سيعتاض عن الخمرة بما تمطره السماء ، وعن لحم الحيوان ونتاجه بما تثمره الارض من عدس وتين وبقول ، لان كل ذلك من حظ المال الوفير^(١) ، ولانه بعد حريص على عقله من المسكر ، حريص على الرأفة بحيوان مظلوم كضعفاء العالم المظلومين . وهذا الحرص على الرأفة بالحيوان لن يوهنه المرض نفسه ، فاذا وصف طبيب فروجاً مرة ، قال ابو العلاء : « استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا شبل الاسد ؟ ! » وهكذا سيعيش قنوعاً بما لديه ، زاهداً فيما سواه ، لا يقلقه هم الكسب او تضنيه خسارة المنكوب ، وسيشفي من داء الغنى القديم :

الحمد لله قد اصبحت ذا دعة ارضى القليل ، ولا اهتم بالقوت

المجد

وابو العلاء سيستأصل من نفسه داءً آخر قديماً ، داء الطموح الى الشهرة والمجد . ما هناء ملك يطمع فيه الكثيرون ويحرسه الجيش اللجب ، او ما لذة مجد يخلق لك الحساد ، ولا يروي لك ظمأ ؟ انت لن تدرك اماً الا بالعمل الجهم ، والجد الطويل ، وكم من

(١) جاء في رسالة من ابي العلاء الى داعي الدعاة بمصر :
« وما حثني على ترك اكل الحيوان ان الذي لي في السنة نيف وعشرون ديناراً ، فاذا اخذ خادمي بعض ما يجب ، بقي ما لا يعجب . فاقترضت على قول وبلسن (عدس) ، وما لا يعذب بالالسن ... ولست اريد في رزقي زيادة ، ولا اؤثر لسقمي عيادة . »

وقال : في رسالة اخرى الى داعي الدعاة ايضاً ، متحدثاً عن نفسه :
« اما العبد الضعيف العاجز فا له رغبة في التوسع ، ومعاودة الاطعمة ، وتركها صار له طبعاً ثانياً ، وله ، ما اكل شيئاً من حيوان ، خمس واربعون سنة . »

آمالك وهم مستحيل ، او غرور ينتهي بك في بركة من الدماء ،
او فسحة لن تصل منها الى غاية :

اذا اجزت مدى منها رأيت مدى !..

وهبك حقت ما اردت من امل ، وبلغت ما اشتيت من
صعود ، وهبك راضياً عما قاسيت من اجهاد النفس وعناء الروح ،
ألا يمر كل ذلك في لحظة طرف ، وينتهي كل صعودك في هوة القبر؟
فما اروح الخمول ، واهدأ القناعة ! افضل الامال الراحة من هذيان
الامال !... من يعمل كمن لا يعمل ، والعام كالיום ، والانسان
كالظل ، وكل الى زوال :

كأن ما دام ثم انبت لم يدم !...

القلب

على ان اعضل الادواء البشرية والحنها لحاجة القلب ، حاجة
الانسان الى انيس ألوف ، وصديق وفي ، وزوج رؤوم ، وولد
بار . قد ينام الانسان على الفقر ، ويصبر على الضعة . ولكنه
يهرب جهده من وحشة الانفراد ، ويرعبه فراغ الوحدة : يهرب غني
الروح العزلة ، لان لذة روحه في انفاق غناها ، ويرهبها فقيرها لانه
اذا خلا الى نفسه احس بعمق فراغه . ولم يكن ابو العلاء بالقلب
الصلب لا تستهويه لذة او يقلقه هوى ، ولكنها خشية الاثم ، ولكنها
رهبة الاذى دفعتا به الى هجران الناس اجمعين ، ليسلم من فسادهم ،
وينجو من ظلمهم :

ولي مذهب في هجري الانس نافع اذا الناس خاضوا في اختيار المذاهب
انه سيعيش منفرداً عن الناس ، « رهين محبسين » بيته وعماه

لا يرجو لهم اصلاحاً ، ولا يلقي منهم شرّاً ، لا يقاسي خيانة او يتحمل عبثاً :

في الوحدة الراحة العظمى فأحبي بها قلباً ، وفي الكون بين الناس اثقالٌ في هذه الوحدة راحة من مجالسة الرؤساء يريدونه على ستر عيوبهم البارزة ، ونشر صفاتهم الموهومة ، ومن الاهتمام بسياسة كثر فيها الظلم والدهاء ، وقلّ العدل والاستقامة .

وفيها بعد عن زائر يطرق بابه ، او صديق يريد انسه ، وما هو بالصخرة لا تشعر بانس او الفة ، ولكنه يخاف ادناس الجليس ، ونفاق الصديق فيفضلّ عليها عزلته القاسية :

تخيّر فاما وحدة مثل ميتة واما جليس في الحياة مناقق

وفيها نجاة من امرأة وخلاص من نسل . وهو ليس بالكاره للذات الزواج ، ولا بالغني عن عطف حليمة او عون ولد ، ولكنه يشعر بالعجز عن اشباع كل رغائب المرأة ، لاسيما وقد فقد الجمال والغنى والشباب ، امنياتها الكبرى ، ويشعر بمسؤولية النسل واعباء الاسرة ، فيؤثر وحشة القلب الخالي على ريبة الزوج المخدوع ، وهمّ الوالد المعول :

وهوّن ارزاء الحوادث انني وحيدٌ اعانيها بغير عيال

هلوء

على هذا النظام القاسي سار ابو العلاء نحو نصف قرن ، يريد به النجاة من فساد البشر ، وعناء الآمال والذات ، والاستقرار على اهتأ حالة نفسية ، وكأن مثاله الاعلى الجهاد الساكن لا يغص بمأكل او يشرق بماء ، لا يرتاع لحر ، او يبكي لرزية .

وأبو العلاء استطاع الوصول ، او كاد ، الى حالة الهدوء التام ،
 لا يزعجه فقر او يهمه غنى ، لا يستهويه مجد او يقلقه خمول ، لا يحن
 الى انس او يميل الى جسد ، لا يعبأ بحياة او يخاف من موت ،
 لا يطرب لغناء او يدمع لنواح ، لانه يرى زوال كل لذة ، وفناء
 كل امل ، فيتساوى كل شيء عند عتبة العدم ، وتذوب كل عاطفة
 عند فكرة الزوال ، ويحلو كل حرمان في سبيل راحة القلب . وانت
 ترى كل ذلك في قصيدة هي اجمل شعره ، لانها زبدة هذا الهدوء
 وزبدة حياته ، هي قصيدة رثاء لابي حمزة نظمها اثناء عزله ، نقل
 لك اهم ابياتها ، وندعوك الى التأمل الطويل فيها :

غيرُ مجدٍ في ملَّتِي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنمُ شادٍ
 وشبيه صوتُ النعيِّ اذا قيس بصوتِ البشيرِ في كل نادٍ
 أبكتُ تلكمُ الحمامةُ ام غنتُ على فبرعِ غصنها الميادِ
 صاح ، هذي قبورنا تملأُ الرُحْبَ ، فابن القبور من عهد عادِ
 خففِ الوطاء ما اظنَّ اديمِ الـ أرضِ الأ من هذه الاجسادِ
 سرَّ ان أسطعت في الهواءِ رويداً لا اختيالاً على رُفاتِ العبادِ
 فقبيحُ بنا وان قدُمُ العهدِ د هوانُ الآباءِ والاجدادِ
 ربَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تراحمِ الاضدادِ
 ودفينِ على بقايا دفينِ في طويلِ الازمان والآبادِ
 تعبُ كلِّها الحياةُ فساءَ جبُّ الا من راغبٍ في ازديادِ
 ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريحُ الـ جسمُ فيها ، والعيشُ مثل السهادِ

وهذا السجين الذي تساوى لديه الشدو والنواح ، وآثر الموت على
 الحياة ، فارق هذه الدنيا ، وهو هادئ مطمئن ، عزاؤه الوحيد منها ما
 اوصى ان يكتب على قبره ، وهو كونه لم يلد للشقاء :

وابو العلاء ظل ، نظرياً ، مختاراً امام مشكلات الغيب ، حتى
آخر حياته ، ظل يتساءل ويتناقض ، لانه لا يرى رأي اليقين . اما
دعوته الى عمل الخير دعوة من يؤمن بمصير فحل عملي يسلك
اضمن الطرق ، ويغلق باب القلق .

اختلفت مواقف العقل ، عند ابي العلاء ، باختلاف المواضيع التي
عرضت له ، فاذا فيلسوفنا ذو مذهب خاص لا يصل الى الشك
الشامل ، ولا يعود الى اليقين الشامل ، ويبدو عقلاً نياً ولا أدرياً معاً .



قد يأخذ قارئ على ابي العلاء شكوكه وتساؤمه .
ولكن ليس لاحد ان ينقم على اعمى المعرفة ، لا من اجل شكه ،
ولا من اجل تساؤمه :

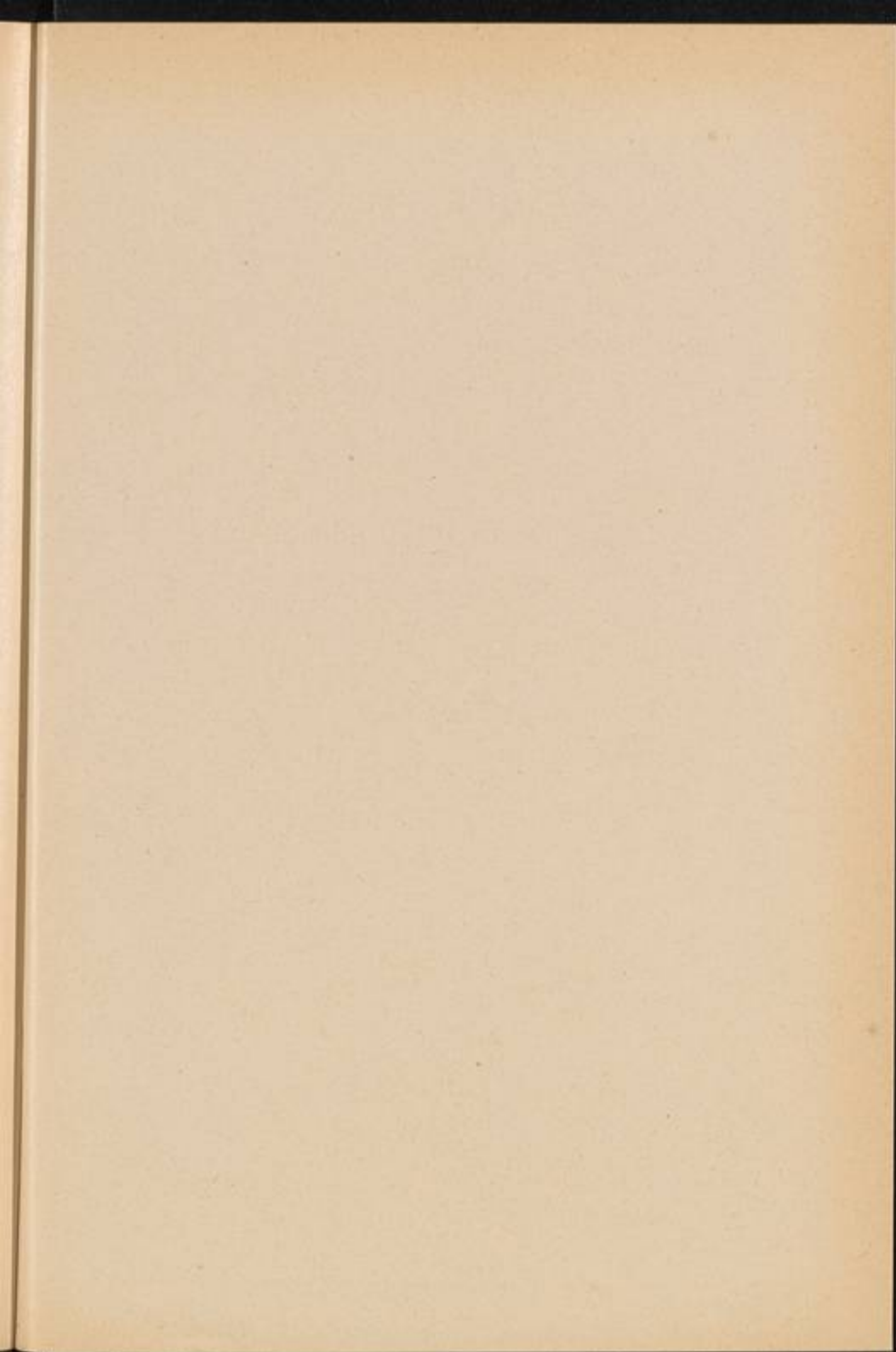
ان في سخريته بالاديان ، بما فيها من تعدد ، وتقليد ، ورياء ،
ايماناً بوحدة الحق ، وبان حجة الدين ثماره .

وان في حيرته امانة لما يرى عقل عاجز ، واحكاماً عن الادعاء الجازم .
وان في نقده لاوزاع عصره نفرة من الظلم ، وثورة على الشر والفساد .
وان في عزلته قعاً للهوى ، وصلابة في السيرة ، وصبوة الى هدوء
الروح .

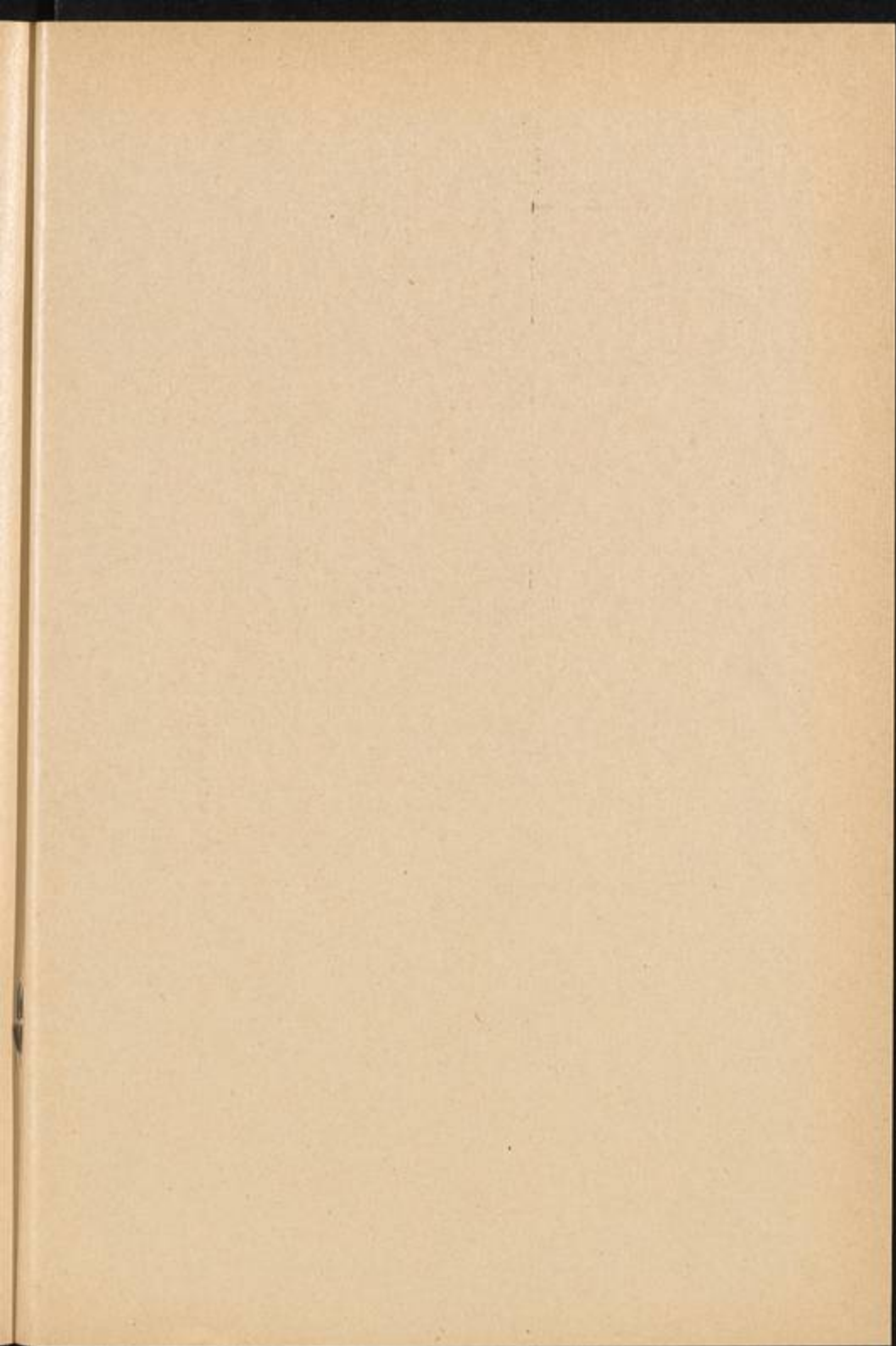
وفي كل ذلك عبر ،

وهدى لمن استبصر .

ونحن لا نفتنح بان ابا العلاء ما تناقض ، بل تطور تفكيره : ان الاستناد الى
ترتيب الزوميات ، الى كون ترتيبها التاريخي غير ترتيبها في الكتاب ، لا يكفي للافتناع
بالتطور الفكري من ايمان الى جحود ، بل هو مجرد تقدير لتبرير تناقض . وتفسير
هذا التناقض ، في نظرنا ، هو حيرة ابي العلاء ، اي عجزه ، امام تناقض الادلة ،
عن الاختيار والجزم ، وركونه ، وفقاً للحالة الطارئة ، الى هذا الدليل او الى نقيضه .



مختارات



قد لا تعرف كتاباً اضعف تأليفاً او اكثر مراجعات من لزوميات
ابي العلاء. ان ترتيب القصائد ، في هذا الديوان الضخم ، لرهن
القافية ، والقافية لرهن حرفي الزوم ، والمعاني لرهن القافية وحرفي
الزوم معاً. كل هذا يجعل القصيدة الواحدة، او المقطع الواحد، يلماًن
بشئى المواضيع ، ويجعل جمعها تحت عناوين متميزة مستحيلاً . على
اننا بذلنا الجهد للوصول الى شئء من ذلك ، فجزأنا مقاطع وقصائد ،
واكتفينا احياناً بابيات ، وجمعنا الكل تحت عناوين . اقدمنا على
ذلك دون اشفاق ، مستطين جهدنا الوحشي والغريب ، مؤثرين ما
جلّ معناه ، وصفا اخراجه الشعري ، مرتبين ذلك اقساماً اربعة :

١ - اين الخير ؟ - يشمل ما دار حول فساد الطبع ، وسوء
السياسة ، وضلال الاديان ونفاق اهلها ، وفساد النساء وافسادهن .

٢ - اين السعادة ؟ - ترى فيه شقاء الناس ، وضمنك البقاء ،
وهناء الموت .

٣ - اين الحق ؟ - ترى ما انتاب ابا العلاء من شك في قدرة
العقل ، وحريرة في مصير الانسان ، في خلود نفسه ، وبعث جسده ،
وحريرة فعله ؟

٤ - النجاة : في عزلة زاهدة ، يسلم فيها من اذى الناس ،
واعباء الزوج ، ونفاق الصديق ، ويكتفي باليسير من القوت واللباس ،
لا يظلم حيواناً او يفقد عقله بشراب ، فيصل هكذا الى هناء القلب
الخالى ، وراحة الجهاد .

ابن الخير

فساد الطبع :

ابناء آدم

فَسَلُّ ابُو عَلَمْنَا آدَمُ وَنَحْنُ ، مِنْ عَلَمْنَا ، اِفْسَلُ^١
والخير محبوب ، ولكنه يعجز عنه الحي ، او يكسل^٢
والارض للطوفان مشتاقه لعلها من درن تغسل .

بنو حواء

انمازت الناس اخلاق^١ تقاس بها فانهم عند سوء الطبع اسواء
او كان كل^٢ بني حواء^٣ يشبهني فبئس ما ولدت في الخلق حواء!

أيا جسد المرء ...

ايا جسد المرء ، ماذا دهاكا وقد كنت من عنصر طيب
تخبت ، اذ جمعت اربع^١ لديك ، واضحكت في الحي بي^٢
فلا تجزعن^٣ اذا ما الحما م^٤ صاح بوفد الضنا : هي بي!
تصير طهوراً ، اذا ما رجعت الى الاصل ، كالمطر الصيب

(١) افسل : احقر .

(٢) اربع : هي العناصر الاربعة ، الماء والهواء والنار والتراب .

غلبة الطبع

يتحاربُ الطبعُ، الذي مُزجت به مُهيج الانام ، وعقلُهم ، فيفلهُ
ويظل ينظر— ما سناه بنافع — كالشمس يسترها الغمامُ وظلّه
حتى اذا حضر الحِمامُ تبيّنوا ان الذي فعلوه جهلٌ كَلّهُ .

غلبة الهوى

وقد غلب الاحياء في كل وجهة هواهم ، وان كانوا غطارفةً غُلبا
كلابٌ تعاوت او تعاوت لجيفة واحسبني اصبحتُ الأمها كلبا .

جسمي انجاس

بنتٌ عن الدنيا ولا بنت لي فيها ، ولا عرسٌ ، ولا أختُ
ان مدحوني ، ساعني مدحهم وختُ ابي في الثرى سختُ^(١)
جسمي انجاسٌ ، فا سرّني أني بمسك القول ضمّختُ
من وسخٍ صاعَ الفتى ربّه فلا يقولنّ توسختُ .

نحن ثقل

كأنتما الارض شاع فيها من طيب ازهارها بخورُ
اثنتُ على ربّها السواري والنبتُ والماء والصخورُ
ونحن فوق التراب ثقلٌ يكاد من تحتنا يخورُ

(١) سخت : غصت .

فاض الدنس

قد فاضت الدنيا بادناسها على براياها واجناسها
وكلُّ حيٍّ فوقها ظالمٌ وما بها اظلمٌ من ناسها.

ايات

والشرّ في الجسد القديم غريزةٌ في كل نفس منه عرقٌ ضاربٌ.
◊
فلا تعذلينا ، كلتنا ابنٌ لثيمةٍ وهل تعذبُ الاثمار ، ان لؤمَ الغرس ؟
◊
لقد فعلوا الخير القليل تكلفاً وجاؤوا الذي جاؤوه من شرهم طبعاً .
◊
القلبُ كالماء ، والاهواء طافيةٌ عليه مثل حبابِ الماء في الماء .
◊
تفرّقوا كي يقلَّ شرُّكمُ فانما الناسُ كلّهمُ وسخٌ !
◊
يغدو على خله الانسانُ يظلمه كالذئبِ يأكل عند الغرّة الذيبا !

فساد السياسة :

شياطين مسلطة

يكفيك حزناً ذهابُ الصالحين معاً ونحن بعدهمُ في الارض قطان
ان العراق وان الشام منذ زمن صفرانٍ ما بهما للملك سلطانُ
ساس الانام شياطينٌ مسلطةٌ في كل مصر من الوالين شيطانُ .

وينفر عقلي مغضباً ان تركته سدّي، واتبعْتُ الشافعيّ وما لكا .
 سألتُ المحدثَ عن شأنه فما زال يضعف حتى ارتبك .
 اجاز الشافعيّ فعلاً شيء وقال ابو حنيفة لا يجوز!

ديننا رياء

قد حُجِبَ الدينُ والضياءُ وانما ديننا رياء
 يا عالمَ السوء ، ما علمنا ان مُصليكَ اتقياء
 لا يكذبُ امرؤُ جهول ما فيكَ لله اولياء
 كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض انبياء
 فانصرفوا ، والبلاء باق ولم يزل داوُك العياء
 حكمٌ جرى للمليك فينا ونحن في الاصل اغبياء .

رويدك ! ...

رويدك قد غررت وانت حرّ بصاحب حيلة يعظ النساء
 يجرّم فيكمُ الصهباء صباحاً ويشربها على عمد مساء
 تحسّأها فن مزجٍ وصرّف يعلّ كأنما ورد الحساء
 يقول لكم غدوتُ بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء
 اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فن جهتين، لا جهةٍ اساء .

كم يئشدون ...

ما وُفقوا ، حسبوني من خيارهم فخلّتهم ، لا يُرجى منهم الرشداُ

اما اذا ما دعا الداعي لمكرمةٍ فهم قليلٌ، ولكن في الاذى حشد
كم ينشدون صفاءً من دياتهم وليس يوجد حتى الموت ما نشدوا .

اسلام النصراني

قد اسلم الرجلُ النصرانيُّ مرتغياً وليس ذلك من حبِّ لاسلامٍ
وانما رام عزاً في معيشته او خاف ضربةَ ماضي الحد قلامٍ
او شاء تزويجَ مثلِ الظبيِ مُعلمةً للناظرينَ باسوارٍ وعُلامٍ^(١).

جلوا صارماً

أتوكم باقبالهم^(٢) والحسام فشدّ بهم زاعمٌ ما زعمُ
تلوا باطلاً، وجلوا صارماً وقالوا صدقنا، فقلتم نعم!
افيقوا فانّ احاديثهم ضعافُ القواعد والمدّعمُ
زخارفُ ما ثبتت في العقولِ، عمى عليكم بهن المعتمِ .

توهمت ...

توهمت، يا مغرورُ، أنك دينٌ عليّ يمينُ الله ما لك دينُ
تسيرُ الى البيت الحرام تنسكاً ويشكوك جارٌ بائس وخدين .

(١) العلام : الحناء .

(٢) القيل : الرئيس .

لا يكذبوا !

قالوا فلان جيدٌ لصديقه لا يكذبوا ! ما في البرية جيدٌ
فاميرهم نال الامارة بالخنى وتقيهم بصلاته متصيدٌ .

كل الناس بور

كتابُ محمد ، وكتابُ موسى وانجيلُ ابن مريم ، والزبورُ
نهت امماً ، فما قبلت وبارت نصيحتها ، فكل الناس بورٌ .

بعداً لكم

مساجدكم ومواخيركم سواء ، فبعداً لكم من بشر
وما انتم بالنبات الحميد ولا بالنخيل ، ولا بالعشيرة^(١)
ولكن قتادٌ عديم الجناة ، كثير الاذاة ، ابي غير شر
وليلكم ابداً مظلمٌ فهل ترقبون صباحاً جشراً؟^(٢)
فيا ليتني في الثرى لا اقوم إن الله ناداكم او حشر
وما سرتني اني في الحياة ، وإن بان لي شرفٌ وانتشر .

ماكر او غبي

وقد فتشت عن اصحاب دين لهم نسكٌ ، وليس لهم رياء
فالفيت البهائم لا عقولٌ تقيم لها الدليل ، ولا ضياء

(١) العشر : شجر .

(٢) جشر : طلع .

واخوان الفطانة في اختيال كأنهم لقوم انبياء
فأما هؤلاء فاهل مكرٍ وأما الاولون فاغبياء!

ما الخير

ما الخير صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وانما هو ترك الشر مطرحاً ونفضك الصدر من غلٍ ومن حسد .

ايات

سبح وصل وطف بمكة زائراً سبعين لا سبعاً فلست بزائر!
◊
طلب النساء شبابه ، حتى اذا وضحت مفارقه تأهل ينسك!
◊
اذا قيل ان الفتى ناسكٌ ورام الجمال فلا نسك له .

فساد المرأة :

النساء

ترتم في نهارك مستعينا بذكر الله في المترنمات^١
وهينم ، والظلام عليك داج ، لدى ورق سُمعن مهينات^٢
ولا ترجع بايماء سلاماً على بيضٍ اشرن مسلمات

(١) المترنمات : الطيور الصادحة .

(٢) الهينمة : الصوت الخفي .

عزف ونزف

وجدتُ الناسَ في هرجٍ ومرجٍ غواةً بين معتزلٍ ومرجي
فشأن ملوكهم عزف ونزف واصحاب الامور جباة خرج^١
اني الدنيا ، لحاها الله ، حقاً فيطلب في حنادسها بسرج؟

ظلموا الرعية

مُلّ المُقامُ فكم اعاشرُ امةً امرت بغير صلاحها امرؤها
ظلموا الرعية ، واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها .

ايات

وأرى ملوكاً لا تحوط رعية فعلام توخذ جزية ومكوس؟
ومن شر البرية ربُّ ملكٍ يريد رعيةً ان يسجلوا له .
اما والله لو اني تقيُّ لما آخيتُ مثلك وهو قاضٍ .
يسوسون الامور بغير عقلٍ فينفذ امرهم ويقال ساسه!

(١) نزف : سكر .

ضلال الاديان وفساد اهلها :

افيقوا

افيقوا ، افيقوا يا غواةُ فانما ديانتكم مكر من القدماء
ارادوا بها جمع الحطام فادركوا وبادوا ، وماتت سنة اللوماء .

واورثوا الدين

عاشوا كما عاش اباؤهم سلفوا واورثوا الدين تقليدًا كما وجدوا
فما يراعون ما قالوا وما سمعوا ولا يبالون ، من غي ، لمن سجدوا .

الدين تقليد

وينشأ ناشئُ الفتيان منا على ما كان عوده ابيه
وما دان الفتى بحجى ، ولكن يعلمه التدين اقربوه .

والعقل يعجب

والعقل يعجب ، والشرائع كلها خبر يُقلد لم يقسه قائل
متمجسون ومسلمون ومعشر متنصرون وهائدون رسائس^(١)
وبيوت نيران تزار تعبدًا ومساجد معمورة وكنائس
والصابثون يعظمون كواكبًا وطباع كل في الشرور حباثس .

(١) رسائس : جمع ريس وهو اول كل شيء : اليهودية اقدم هذه الاديان .

اختلاف الاديان

وجدنا اختلافاً بيننا في الهنا وفي غيره ، عزّ الذي جلّ واتحدّ
لنا جمعة والسبت يدعى لامة اطافت بموسى ، والنصارى لها الاحد
فهل لبواقي السبعة الزهر معشرٌ يجلّونها ممن تنسك او زهد
تقرب ناسٌ بالمدام ، وعندنا على كل حال ان شاربها يُحد .

ظلام سرمد

لا تبدووني بالعداوة منكم^١ فسيحكم عندي نظير محمد
أغيث ضوء الصبح ناظر مدلج^٢ ام نحن اجمع في ظلام سرمد؟

لهم غرض ...

كأن نفوس الناس ، والله شاهد ، نفوس فراش ما لهن حلوم
وقالوا فقيه ، والفقيه مموّ^٣ وحلف جدال ، والكلام كلوم
اتوك باصناف المحال ، وانما لهم غرض في ان يقال علوم .

صوفية ...

صوفية ما رضوا للصوف نسبتهم حتى ادّعوا انهم من طاعة صوفوا
تبارك الله ، دهر حشوه كذب فالمرء منا بغير الحق موصوف .

لا امام ...

يرتجي الناس ان يقوم امام^٤ ناطق^٥ في الكتيبة الخرساء^٦

(١) امام : هو الامام المعصوم الذي تقول به الباطنية .

كذب الظنّ ، لا امام سوى العق ل مشيراً في صبحه والمساء
فاذا ما اطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء
انما هذه المذاهب اسباب لجذب الدنيا الى الرؤساء
فانفرد ما استطعت فالقاتل الصا دق يضحى ثقلاً على الجلساء .

احتيال

ولا تطيعنّ قوماً ما دياتهم الا احتيالاً على اخذ الإتاوات^(١)
وانما حمل التوراة قارئها كسب الفوائد، لا حبّ التلاوات
ان الشرائع القت بيننا إحنأ وادعنتا افانين العداوات
وهل أبيحت نساء القوم عن عرض للعرب الا بأحكام النبوات!

دين الزناديق

تستروا بامور في دياتهم وانما دينهم دين الزناديق
نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل اولى باكرام وتصديق .

العقل امام

وكم غرّت الدنيا بنيا وساعني مع الناس مين في الاحاديث والنقل
ساتيع من يدعو الى الخير جاهداً وارحل عنها ما امامي سوى عقلي .

ايات

ايها الغير ، ان خصصت بعقل فاسألته ، فكل عقل نبي

(١) الاتاوة : الرشوة ، الجزية .

- فوارسٌ فتنّةٌ ، اعلامٌ غيٌّ لقينك بالاساور معلّات^١
وسامٌ ما اقتنعن بحسن اصلٍ فجنك بالخضاب موسّات^٢
وقد يصبحن ، عن برّ ونسك ، باطيب عنبر متنسّات^٣
كانن خواتم الافواه فضّت عن الصهب العذاب مخنّات^٤
ثنتهن الجاجم عن مراد بشيب ، فانتين مجمجات^٥
خمور الريق لسن بكل حال على طلابهن محرّمات
ولكنن الاوانس باعثات ركابك في مهالك مقنّات^٦
صحبنتك فاستفدت بهن ولدًا اصابك من اذاتك بالسّمات^٧
ومن رزق البنين فغير ناء بذلك عن نواب مسقات
فن ثكل يهاب ، ومن عقوق وارزاء يجنّ مصمّات^٨
وان تعطّ الاناث فاي بوّس تبين في وجوه مقنّات^٩
يُردن بعولة ، ويردن حلياً ويلقين الخطوب ملومات
ولسن بدافعات يوم حرب ولا في غارة متغنّات^{١٠}
ودفنن ، والحوادث فاجعات ، لاحداهن احدى المكرمات
وقد يفقدن ازواجاً كراماً فيا للنسوة المتأيّمات
يلدن اعادياً ، ويكنن عاراً اذا امسين في المتهنّات^{١١}

(١) معلّات : مزيّنات .

(٢) وسام : حسان - بحسن اصل : الحسن الطبيعي - موسّات : محسّات .

(٣) متنسّات : متنفّسات .

(٤) الصهب : الخمور - مخنّات : مخنومة .

(٥) مجمجات : يقلن كلاماً غير مفهوم .

(٦) مقنّات : سوداء .

(٧) السّمات : آثار الكمي .

(٨) مصمّات : يحدثن الصمم .

(٩) مقنّات : جميلات .

(١٠) المتغنّم : الشجاع الجري .

(١١) المتهنّات : المظلومات ، المسبيات .

وما الجاراتُ الا جارياتُ
فلا تسألُ اهند ام لئيسُ
ولا ترمقُ بعينك رائحاتُ
ومن عاشرتَ من انسٍ فحاذرُ
متى يطمعن فيك يرينَ تيباً
وليس عكوفهنَّ على المصلّي
ولا تحمدُ حسانك ان توافقتُ
فحملُ مغازلِ النسوانِ اولى
سهامُ ، ان عرفن كتابَ لسنٍ
ويتركن الرشيدَ بغير لبٍ
ليأخذنَ التلاوةَ عن عجوزٍ
يسبحن المليكِ بكل جنحٍ
فما عيبُ على الفتياتِ لحنُ
ولا يدنين من رجلٍ ضريرٍ

- (١) مهبّات : مفرجات ، ذوات هيام .
- (٢) تخيم في المكان : نصب خيمته .
- (٣) كبه : ستره وغطاه .
- (٤) مرّد : عاصيات .
- (٥) تأجّم : غضب .
- (٦) غرّ : خدع .
- (٧) مقومات : تخطها مستقيمة .
- (٨) اليراع : القلم . قلم اليراعة : قطع ما طال منها ، لتصبح صالحة للكتابة .
- (٩) اللسن : اللغة . سممه : وضع فيه سمّاً .
- (١٠) ففرن مهبّات : فتحن افواهاً فقدت اسنانها .
- (١١) لحن : خطأ في اعراب . مترجمات : يعبرن بالفاظ وصيغ مشابهة .

سوى من كان مرتعشا يدها
وان طاوعن امرك ، فانه غيداً
اخذن كريش طاووس لباساً
وأبعدهن عن ربّات مكرٍ
يقلن نهيج الغياب حتى
ونعطف هاجر الخلان كما
ولتته من المتغيات^١
يزرن عرائساً متيممات^٢
ومسكاً بالضحى متلغيات^٣
سواحر يعتدين معزّمات^٤
يجيئوا بالركاب مزّمات^٥
يزول عن السجايا المُستّمات^٦

ولا يتأهلن شيخ مقلٍ
فان الفقر عيب ، ان أضيفت
ولكن عرس ذلك بنت دهر
من اللاتي ، اذا لم يجد عام
من الشمط اغترلن بكل عود
ويغتفر الغنى وخطأ بشيب
وواحدة كفتك فلا تجاوز
وان ارغمت صاحبة بضر
زجاج ان رفقت به ، والآ
بمعصرة من المتنعيات^٧
اليه السن ، جاء بمعظمت
تجنبت الوجوه محمّمات
تفوقن الحوادث معدّمات^٨
وافنين السنين مجرّمات^٩
اذا كانت قواك مسلّمات
الى اخرى تجيء بمؤلمات
فاجدر ان تروع بمعمرات^{١٠}
رأيت ضروبه متقصّات

(١) تغم : شاب .
(٢) تيمم الامر : قصده وتوخاه .
(٣) تلغم بالطيب : جملة على ملائمه وهي الفم والانف وما حوطا .
(٤) عزّم الراقي : قرأ العزائم .
(٥) نهيج الغياب : نأني بالحبيب الغائب ، اذ نثر فيه الحب . مزّمات : من زيم
الجميل : خطمه .
(٦) المستّمات : التي تحدث السامة .
(٧) اعصرت المرأة : ادركت .
(٨) نفوق الشراب : شربه شيئاً بعد شيء .
(٩) عام مجرم : تام .
(١٠) الضرا : تزوج الرجل بثانية : معمرات : من اعمره : جنى عليه ما لم يجنه .

وصن في الشرخ نفسك عن غوان
 فقد يسري الغوي الى المخازي
 وما حفظ الخريدة مثل بعل
 تكون به من المتحرمات .

 فهذا قول مختبر شفيق
 ونصح للحياة وللمات

ضعيفة عقل

عجبت للمرء اذ يسقي حليلته
 كأنها اذا تحسست ثم اربعة
 كانت ضعيفة عقل فاستزاد لها
 وكان في لفظها عي^٤ فايده
 سلاقة، وهو منها تائب صاح
 او خمسة شردت عنه بصحاصح^٣
 في ضعفه، ضد عذآل ونصاح
 فلم تجربره عن شيء بافصاح .

محسود

اذا كانت لك امرأة حصان
 فان جمعت الى الاحصان عقلاً
 فانك محسود بين الفريق
 فبورك مشمر الغصن الوريق .

وحاول رضاها ...

لعمرك ما غادرت مطلع هضبة
 اقل الذي تجني الغواني تبرج
 من الفكر الا وارتقيت هضابها
 يري العين منها حليها وخضابها

- (١) اعتم : سار في العتمة .
 (٢) انجم الشيء : ظهر وطلع .
 (٣) صحصاح : سهل .
 (٤) عي : عجز عن النطق .

فان انت عاشرت الكعاب فصادها^١ وحاول رضاها ، واحذرن غضابها
فكم بكرت تسقي الامر حليلتها من الغار ، اذ تسقي الخليل رضاها .

حبال غي

اذا بلغ الوليد لديك عشراً فلا يدخل على الحرم الوليد
فان خالفتني ، واضعت نصحي فانت ، وان رُزقت حجي ، بليد
الا ان النساء حبال غي^٢ بهن يضيّع الشرف التليد .

جاءت الجمرات ترمي ...

اتت خنساء مكة كالثريا وخلت في المواطن فرقدتها
ولو صلّت بمنزلها وصامت لألفت ما تحاوله لديها
ولكن جاءت الجمرات^٣ ترمي وابصار الغواة الى يديها
وليس محمد في ما اتته ولا الله القدير بمحمدتها .

علموهن الغزل ...

علموهن الغزل والنسج والردن ، وخلتوا كتابة وقراءة
فصلاة الفتاة بالحمد والاخلاص تجزي عن يونس وبراه^٣ .

(١) صادى : دارى .

(٢) الجمرة : الحصاة .

(٣) الحمد والاخلاص سورتان قصيرتان ، ويونس وبراه سورتان طويلتان .

كم عصيتن ! ...

ان شئت ان تحفظي من انت صاحبة له، فلا تدخلي في المصرحاً ما
فكم عصيتن من ناهٍ وناهيه وكم فضحتن احوالا واعماماً!

تكفيك واحدة

اذا كنتَ ذا ثنتين، فاغدُ محارباً عدوين، واحذرُ من ثلاثِ ضرائرِ
وان هنَّ ابدین المودةَ والرُضي فكم من حقوقِ غُيبت في السرائرِ
قرانك ما بين النساءِ اذيةٌ لهن، فلا تحمِلُ اذاة الحرائرِ
وان كنتَ غراً بالزمانِ واهله فتكفيك احدى الانساتِ الغرائرِ

شر النسل

خير النساء اللواتي لم يلدن لكم فان ولدن فخير النسل ما نفعا
واكثر النسل يشقى الوالدان به فليته كان عن آبائه دُفعا
اضاع داريك من دنيا وآخرة لا الحمي اغنى ولا في هالك شفعا
وكم سليلٍ رجاه للجمال أبٌ فكان خزيماً باعلى هضبة رُفعا.

تزوج الشيخ

تزوج الشيخُ فالقيته كأنه مُثقلُ ابلٍ وحلٍ
وعرسه في تعبٍ دائمٍ لا تخضب الكفَّ ولا تكتمل
ملتت، وان احسن، ايامه تقول في النفس متى يرتحل!
لو مات لاستبدلتُ منه قتيً اني اراه مُحرمًا لا يحل.

بدا شبيه

بدا شبيه مثل النهار ولم يكن يشابه فجرًا او نجومَ ظلامٍ -
يحدثها ما لا تريد سماعه ولم يبقَ عند الشيخ غير كلام
تقول له في النفس غير مبينة خذ المهرَ مني ، وانصرفَ بسلام
تودّ لو ان الله اعطاه حنفته وكيف لها من بعده بغلام؟

ايات

لعمرك، ما زوج الفتاة بحازم إذا ما الندامي في محلته غنوا .
◊ وما تمتع الخود الحصانَ حصونُها ولو ان ابراجَ السماء بروجها .
◊ اقيمي لا اعدّ الحجَّ فرضاً على عجز النساء ولا العذارى
ففي بطحاء مكة شرُّ قومٍ وليسوا بالحياة ولا الغيارى .
◊ ان نشأت بنتك في نعمةٍ فالزمها البيت والمغزلا .
◊ اذا ما ابن ستينَ ضمَّ الكعما بَ اليه ، فقد حلّت البهله (١)
◊ وما الغواني الغواذي في ملاعبها الا خيالات وقتٍ اشبهت لعبا .
◊ ان صحَّ عقلك فالتفرد نعمةً ونوى الاوانس غاية الايناس !

(١) البهله : اللعنة . الكعاب : الفتاة الناهدة .

ابن السعادة

حياة عناء

حياة عناء وموتٌ عنا فليت بعيداً حمام دنيا
يدٌ صفرت ، ولهاةٌ ذوت ونفس تمت ، وطرف رنا
يحاول من عاش سترَ القمية ص وملء الحميص ، وبُراء الضنى
اعائبةٌ جسدي روحه وما زال يُخدم حتى وفي
ولي مورد باناء المنون ولكن ميقاته ما أنى .

اسر هواها

يسبيء امرؤ منا فيبغض دائماً ودنياك ما زالت تسيء وتومق
اسر هواها الشيخ والكهل والفتى بجهل ، فمن كل النواظر ترمق
وماهي اهل ان يوهل مثلها لود ، ولكن ابن آدم احق .

نادى حشا الام

نادى حشا الام بالطفل الذي اشتملت عليه : ويحك ! لا تظهر موت كندا !
فان خرجت الى الدنيا لقيت اذى من الحوادث ، بله القیظ والجمدا
وما تخلّص يوماً من مكارهها وانت لا بدّ فيها بالغ أمدا

وربّ مثلك وافاها على صغر
 لا تأمن الكفّ من ايامها شللاً
 فان ابيت قبول النصح معتدياً
 فسوف تلقى بها الآمال واسعة
 وتركب اللجّ تبغي ان تُفيد غنى
 وتقطع الارض لا تُلني بها ثمداً^١
 وان سعدت فما تنفك في تعب
 وان شقيت فمن للجسم لو همدا
 ثم المنايا فاما ان يقال مضى
 ذميمة فعل ، واما كوكب حمدا .

لكنك الام

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن
 لا وعندي من اخبارهم طرف
 يخبر العقل ان القوم ما كرموا
 ولا افادوا ، ولا طابوا ، ولا عرفوا
 عاشوا قليلاً ، وماجوا في ضلالتهم
 ولا يفوزون ان يجوزوا بما اترفوا
 اذا شقيت فجسم ناله نصب ،
 وان ترفت فماذا ينفع الترف؟
 يا ام دفر لحاك الله والدة
 منك الاضاعة والتفريط والسرف
 لو انك العرس اوقعت الطلاق بها
 لكنك الام ، هل لي عنك منصرف؟

هنى

قضى الله ان الآدمي معذب
 الى ان يقول العالمون به : قضى
 فهنى^١ ولاة الميت يوم رحيله :
 اصابوا تراثاً ، واستراح الذي مضى .

(١) التمد : الماء القليل .

ما اطيب الموت

تفواك زاد^١ فاعتقد انه افضل^٢ ما اودعته في السقاء^٣
آه غداً من عرق نازل ومُهجة مولعة بارتقاء
ثوبِي محتاج الى غاسلٍ وليت قلبي مثله في النقاء
موتٌ يسيرٌ معه راحةٌ خير من اليسر وطول البقاء
وقد بلونا العيش اطواره فما وجدنا فيه غير الشقاء
تقدم الناس ، فيا شوقنا الى اتباع الاهل والاصدقاء
ما اطيب الموت لشرايبه ان صحَّ للاموات وشكُّ النقاء

راحة الموت

لولم تكن طرقُ هذا الموت موحشةً مخشيةً لاعتراها القومُ افواجاً
وكان من القت الدنيا عليه اذى يومها تاركاً للعيش امواجاً .
كأس المنية أولى بي واروح لي من ان اكابد إثراء وإحواجاً .
يدلّ على فضل المات ، وكونه اراحة جسم ، ان مسلكه صعبٌ
ألم ترّ ان المجد تلقاك دونه شدائدٌ من امثالها وجب الرعبُ؟

(١) السقاء : وعاء للياه واللبن ونحوهما .

ابن الحق

اما اليقين ! ...

اقررت بالجهل

يُظنّ بي اليسرُ والديانةُ والعلْمُ وبينني وبينها حجبٌ
اقررت بالجهل وادّعى فهمي قومٌ ، فامري وامرهم عجبٌ .
والحقّ اني وانهم هدرٌ لست نجيباً ولا هم نجبٌ .

علي او كآني

وقد عُدِمَ التيقنُ في زمانٍ حصلنا من حجاه علي التظني !
فقلنا للهزبر: أنت ليثٌ؟ فشكّ وقال : علي او كآني !

أبيات

وانما نحن في ضلالٍ وتعليلٍ فان كنتَ ذا يقينٍ فهاته .
سألتموني فاعيتني اجابتكم من ادّعى أنه دارٍ فقد كذبا .
اذا قلت الخيال رفعت صوتي وان قلت اليقين اطلت همسي .

اما اليقين ، فلا يقين وانما اقصى اجتهادي ان اظن واحدسا .

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة : اي المعاني باهل الارض مقصود؟

الغيب مجهول يحار دليله واللب يأمر اهله ان يتقوا .

رأيت الحق لؤلؤة توارت بلج من ضلال الناس جم .

وللانسان ظاهر ما يراه وليس عليه ما تخفي الغيوب !

ما المصير ؟ ...

مصير الروح

والروح ارضية في رأي طائفة وعند قوم ترقي في السماوات
تمضي ، على هيئة الشخص الذي سكنت فيه ، الى دار نعيم او شقاوات
وقدرة الله حق ليس يعجزها حشر لخلق ولا بعث لاموات .

هذيان

قد قيل ان الروح تأسف بعدما تنأى عن الجسد الذي غنيت به
ان كان يصحبها الحجي فلعلها تدري وتأبه للزمان وعتبه
او لا ، فكم هذيان قوم غابر في الكتب ضاع مداده في كتبه .

فواشجبا

ان يصحب الروح عقلي بعدمظعنها للموت عني فاجدر ان ترى عجبها

وان مضت في الهواء الرحب هالكة هلاك جسمي في تربي فوا شجبا!

هباء

لو كان جسمك متروكاً بهيئته بعد التلاف ، طمعنا في تلافيه
كالدن عطل من راح تكون به ولم يحطم فعات مرة فيه
لكنه صار اجزاء مقسمة ثم استمر هباء في سوافيه .

أعيا الخل

لو هب سكان التراب من الكرى أعيا الخل على المقيم الساكن
لغدوا وقد ملأ البسيطة بعضهم ورأيت أكثرهم بغير اماكن .

أخاف العقوبة

اذا كنت من فرط السفاه معطلاً فيا جاحدُ اشهدُ أنني غير جاحد
اخافُ من الله العقوبة آجلاً وازعم ان الامر في يد واحد
فاني رأيتُ الملحدين تعودهم ندامتهم عند الاكف اللواحد .

دمعة التائب

اذكرُ الهك ان هببت من الكرى واذا هممت لهجعة ورقاد
احذرُ مجيئك في الحساب بزائف فالله ربك انقدُ النقاد
تغشى جهنم دمعةً من تائب فتبوخ وهي شديدة الايقاد .

خافي الهك

كفني دموعك للتفرق ، واطلبي دمعاً يبارك مثل دمع الزاهد

فبقطرة منه تبوخ جهنم فيما يقال ، حديث غير مشاهد
خافي الهك واحذري من امة لم يلبسوا في الدين ثوب مجاهد
اكلوا فناموا ثم غنوا وانتشوا في رقصهم ، وتمتعوا بالشاهد .

افعل الخير

ودان اناس^١ بالجزاء وكونه وقال رجال : انما انتم بقل!
فاوصيكم^٢ اما قبيحاً فجانبوا واما جميلاً من فعال فلا تقلوا
فاني وجدت النفس تبدي ندامة على ما جتته حين يحضرها النقل
وان صدت ارواحنا في جسامنا فيوشك يوماً ان يعاودها الصقل .

لا تناسخ

يقولون ان الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهدبها النقل^٣
فلا تقبلن^٤ ما يخبرونك ضلّة^٥ اذا لم يؤيد ما اتوك به العقل .

الروح

والروح شي^٦ لطيف ليس يدركه عقل^٧ ، ويسكن من جسم الفتي حرجا
سبحان ربك ، هل يبقى الرشادله وهل يحس^٨ بما يلقي اذا خرجا؟
وذاك نور^٩ لاجساد يحسها كما تبينت تحت الليلة السرجا
قالت معاشر : يبقى عند جثته وقال ناس : اذ لاقى الردى عرجا^{١٠}

(١) عرج : صعد الى السماء .

توحي جليلاً

توحي جليلاً وافعليه لحسنه ولا تحكمي ان المليك به يجزي
فذاك اليه ان اراد فللكه عظيم ، والا فالِحمام لنا مجزي .

أبيات

عليك بفعل الخير لو لم يكن له من الفضل الا حسنه في المسامع .
◊
وهي الحياة فعنة او فتنه ثم المات فجنة او نار .
◊
بيني وبين البعث طولُ البلى ومن لهذي النفس ان تطفره؟
◊
اذا ما اعظمي كانت هباءً فان الله لا يعيبه جمعي .
◊
لا حس للجسم بعد الروح نعلمه فهل تحس اذا بانث عن الجسد؟
◊
والنفس تفتي بانفاس مكررة . وساطع النار تُخبي نوره اللمع .
◊
وجسمي شمعة والنفس نار اذا حان الردي خمدت باف!
◊
ارى قبساً في الجسم يطفئه الردي وما دمت حياً فهو ذا يتلهب .

قل للغراب ...

حوتنا شرورٌ لا صلاح لمثلها فان شدَّ منا صالحٌ ، فهو نادرٌ
وما فسدت اخلاقنا باختيارنا ولكن بامر سببته المقادر
وفي الأصل عَشٌّ ، والفروع توابعٌ وكيف وفاء النجل ، والاب غادرٌ؟
فقل للغراب الجون ، ان كان سامعاً ، أنت على تغيير لونك قادرٌ؟^{١)}

تردد

قالت معاشر : كلٌ عاجزٌ ضرعٌ ما للخلائق لا بطء ولا سرعٌ^{٢)}
مدبِّرون فلا عتبٌ اذا خطئوا على المسيء ، ولا حمد اذا برعوا .
وقد وجدت لهذا القول في زمني شواهداً ، ونهاني دونها الورع .

أبيات

تروم تهذيب هذا الخلق من دنس والله ما شاء للاقوام تهديبا .
♦
جننا على كرهٍ ، ونرحل رغماً ولعلنا ما بين ذلك نُجبرٌ .
♦
لا تحمدنَّ ولا تذمنَّ امرءاً فينا فغيرٌ مقصرٌ كقصر .
♦

(١) الجون : الاسود .

(٢) ضرع : ضعيف .

ما حُرِّكت قدمٌ ولا بُسِطت يدٌ الا لها سببٌ من المقدر .
 رضى بقضاء ربك فهو حتمٌ ولا تُظهر لحادثة وجوما .
 وصاغني الله من ماءٍ وها أنا ذا كالماء اجري بقدر كيف جُرِّيتُ .
 ما باختياري ميلادي ولا هرمي ولا حياتي ، فهل لي بعدُ تخييرٌ؟
 ارى الخيرَ في عمري حسرةً لاني عن فعله عاجزٌ .
 وقيل نفوس المرء تسطيعُ فعلتها وقال رجالٌ بل تبين جبرُها .
 ان كان من فعل الكبائر مجبراً فعقابه ظلمٌ على ما يفعلُ .
 لا تعشُ مجبراً ولا قدرياً واجتهد في توسطٍ بين بيننا .
 وان سألوا عن مذهبي فهو خشيةٌ من الله ، لا طوقاً ابث ولا جبرا .

النجاة : عزلة وزهد

توحدّ وازهد !

انس الوحدة

اذا حضرت عندي الجماعة أوحشت فما وحدتي الا صحيفة ايناسي
طهارة مثلي في التباعد عنكم وقربكم يجني همومي وادناسي .

توحد

توحدّ فانّ الله ربك واحد ولا ترغبن في عشرة الرؤساء
يقبل الأذى والعيب في ساحة الفتى ، وان هو أكدي ، قلة الجلساء
فاف لعصرهم ، نهار وحندي ، وجنسي رجال منهم ونساء .

هجر النساء

اشدد يديك بما اقو ل ، فقول بعض الناس در
لا تدنون من النساء ، فان غب الأرى مر
سلّ الفؤاد عن الحياة ، فانها شرّ وشرّ

(١) الشر : المكروه .

قد نلتَ منها ما كفاكَ ، فما ظفرتَ بما يسرَّ
وأرى النوائبَ لا ترا لُ كأنها سحبٌ تدرَّ
ان تنهزم خيلٌ لها فحذارٍ من اخرى تكبرُ
دهما توافينا السنون ، ولم يكن فيهنَّ غرَّ .

ضاع الود

طباع الورى فيها النفاق فأقصيهم وحيداً ، ولا تصحبُ خليلاً تنافقه
وما تحسن الايامُ ان ترزق الفتى ، وان كان ذا حظاً ، صديقاً يوافقه
يضاحك خلٌ خلته ، وضميره عبوس ، وضاع الود لولا مرافقه .

لا تقف بجيالي

عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى فليلتي القصوى ثلاث ليالٍ
وهونُ ارزاء الحوادث أني وحيد اعانيها بغير عيالٍ
فدعني واهوالاً امارس ضنكها واياك عني لا تقف بجيالي!

ثلاثة سجون

اراني في الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن الخير النبيث^(١)
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث .

عش بنفسك

كن صاحب الخير تنويه وتفعله مع الأنام على أن لا يدينوكا^(٢)
اذا طلبت ندامهم صرت ضدَّهم وان تُرد منهم عزاً يهينوكا

(١) النبيث : الشرير .

(٢) دانه : جازى .

فَعَشُّ بِنَفْسِكَ فَالْإِخْوَانَ أَكْثَرَهُمْ إِلَّا يَشِينُوكَ يَوْمًا لَا يَزِينُوكَا
وَكَمْ أَعَانِكَ نَاسٌ مَا اسْتَعْنَتْ بِهِمْ أَوْ اسْتَعْنَتْ بِقَوْمٍ لَمْ يَعِينُوكَا

هذيان الامال

لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ رَبُّ الْكَيْمَالِ بِقَلَّةِ عِلْمِي وَدِينِي وَمَالِي
وَأَنَّ التَّجَمُّلَ قَدْ ضَاقَ بِي فَكَيْفَ أَنْفَسَ أَهْلُ الْجَمَالِ
هَوِيَتْ أَنْفِرَادِي كَمَا يُخْفَى عَمَّنْ أَعَاشَرَ ثَقُلَ احْتِمَالِي
أَمَالِي فِيهَا أَرَى رَاحَةً مَدَى الدَّهْرِ مِنْ هَذْيَانِ الْأَمَالِ .

وحدة وزهد

أَنَا لِلضَّرُورَةِ فِي الْحَيَاةِ مَقَارَنٌ مَا زَلْتُ أَسْبَحُ فِي الْبَحَارِ الْمَوْجِ
وَضَّرُورَةٌ فِي شَيْمَتَيْنِ ، لِأَنِّي مَذَكَنْتُ لَمْ أَحْجِجْ وَلَمْ أَتَزَوَّجِ
مِنْ مَذْهَبِي إِنْ لَا أَشَدَّ بَفِضَّةٍ قَدْحِي ، وَلَا أَصْغِي لِشَرْبِ مَعْوَجِ
لَكِنْ أَقْضِي مَدَّتِي بِتَقْنَعٍ يَغْنِي ، وَأَفْرَحُ بِالْيَسِيرِ الْأَرْوَجِ
هَذَا وَلَسْتُ أَوْدَى إِنْ قَامَ بِالْمَلِكِ ، فِي ثَوْبِي أَعْرَى مَتَوَّجِ .

راحة الخمول

الْعَيْنُ مِنْ أَرْقٍ ، وَالشَّخْصُ مِنْ قَلْقٍ وَالْقَلْبُ مِنْ أَمَلٍ ، وَالنَّفْسُ مِنْ حَسَدِ
أَنْبِهِ وَسُدِّ ، فَمَهْمٌ تَكَابِدُهُ ! وَأَحْمَلٌ ، إِذَا شَتَّتْ إِنْ تَحْطَى وَلَا تَسْدِ
وَأَجْبُنٌ أَوْ اشْبَعٌ ، فَطَرَقَ الْمَوْتُ وَاحِدَةً وَالظُّبْيُ فِيهِنَّ مِثْلُ السَّيِّدِ وَالْأَسَدِ .

غني وفقير

اغنى الانام تقني في ذرى جبل يرضى القليل وبأبي الوشي والتاجا
وافقر الناس في دنياهم ملك يضحى الى اللجب الجرّار محتاجا .

ايات

وخموي يدود عني الرزايا نام عني الأذى فلم ينتبه لي .
♦
انهك ان تلي الحكومة او تترى حلف الخطابة او إمام المسجد .
♦
عصا في يد الاعمى يروم بها الهدى ابر له من كل خلدن وصاحب !

ولا تفجعن الطير ...

تحريم الحيوان

غدوت مريض العقل والدين فالقني لنسمع أنباء الامور الصحائح
فلا تأكلن ما اخرج الماء ظالماً ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح^١
ولا بيض امات ارادت صريحه لاطفالها ، دون الغواني الصرائح^٢
ولا تفجعن الطير ، وهي غوافل ، بما وضعت ، فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النحل الذي بكرت له كواسب من ازهار نبت فوائح^٣
فما احرزته كي يكون لغيرها ولا جمعته للندي والمنائح

(١) غريض : طري .

(٢) الصرائح : الصافيات اللون ، الجميلات .

(٣) ضرب : غسل ابيض .

مسحتُ يدي من كل هذا فليتني ابهتُ لشأني قبل شيب المسائح (١).

ابك على طائر

وابك على طائر رماه قتيّ لاه فاوهى بفهره الكتفا (٢)
او صادفته حباله نُصبتَ فظلَّ فيها كأنما كُتفا
بكرّ يبغي المعاش مجتهداً فقُصَّ عند الشروق او نُتفا
كأنه في الحياة ما فرع (٣) الغصنَ فغنتى عليه او هتفا .

لمن تكسين؟

قد غدت النحل الى نورها ويحك ، يا نحل ، لمن تكسين؟
يحيى ، مشار بالآته فيسلب الأري ، ولا تلسين (٤)
أتحسين الدهر ذا غفلة هيات ، ما الامر كما تحسين .

ايات

لا اشرك الجددي في درّ يعيش به ولا اروع بنات الوحش والضان .
لو حاورتك الضان قال حصيفها الذئب يظلم وابن آدم أظلم .
ايا طيبة القاع ، خافي الرما ة ، ولا يخذعنك روض يرف .
تسريح كفي برغوئاً ظفرت به ابر من درهم تعطيه محتاجا .
فاجعل حذائي خشباً ، انني اريد ابقاء على الدارش (٥) .

(١) المسائح : ذوايب الشعر .

(٢) فاهر : حجر .

(٣) فرع : سعد وعلا .

(٤) تلسين : تلدغين .

(٥) الدارش : الجلد الاسود .

لا اشرب الراح ...

البابلية

البابليةُ بابُ كل بلية فتوقينَ هجومَ ذاك البابِ
جرت ملاحاة الصديق وهجره وأذى النديم وفرقة الاحباب
هتكت حجاب المحصنات وجشمت مهن العبيد تهضم الأرباب
وتوهم الشيب المدالف أنهم لبسوا على كبر برود شباب^(١)
وإذا تأملت الحوادث ألفت صهب الدنان اعادي الألباب .

شادية كالغمام

أعوذ بالله من أولى سفه ان يعرفوا علة الضلال تزح
يسقون راحاً لهم معتمةً لو انها من قلوبهم لنزح^(٢)
بينهم كالغمام شادية تومض في ملبس كقوس قزح
يجد في وصلها ملاعبها وهي لجلسها تقول : مزح !

لا اشرب

لا اشرب الراح ولو ضمنت ذهاب لوعاتي واحزاني
مخفناً ميزان حلمي بها كأني ما خف ميزاني .

ولولا

يقول الناس ان الخمر تودي بما في الصدر من هم قديم

(١) مدالف : جمع مدلف وهو الشيخ يمشي ببطء .

(٢) قلب : بئر . نزح : نفذ ماؤه .

ولولا انها بالعقل تودي لكنت اخا المدامة والنديم .
عدّ عن شارب كأس اسكرت ° فهو مثل الكلب في الرجس ولغ .

والفقر أروح في الحياة من الغنى :

ترك المواهب

اجل هبات الدهر ترك المواهب يمدّ لما اعطاك راحة ناهب
وافضل من عيش الغنى عيش فاقة ومن زي ملك رائق زي راهب
ولي مذهب في هجري الانس نافع اذا القوم خاضوا في اختيار المذاهب .

لكل يوم رزقه

لا تخبان لغد رزقاً وبعد غد فكل يوم يوافي رزقه معه
واذخر جميلاً لأدنى القوت تدركه وللقيامة تعرف ذلك اجمعه
فرق تلادك فيما شئت محتقراً فليس يذرف خلف النعش ادمعه
وافعل بغيرك ما تهواه يفعله وأسمع الناس ما تختار مسمعه
واكثر الانس مثل الذئب تصحبه اذا تبيّن منك الضعف اطمعه .

جناحي كسير

لا تعذلاني فالذي ابتغي من هذه الدنيا حقير يسير
بت اسيراً في يدي برهة تسير بي وقي اذ لا اسير
كطائر قيل الا تغتدي فقلت : انى ، وجناحي كسير ؟

اخطأت الظنون

وقال الفارسيون : حليفُ زهدٍ واخطأتُ الظنون بما فرسنته
ولم أعرضُ عن اللذات إلا لأن خيارها عني خسنه .

قوتي غناي

القبر لا ريب منزل فما اربني الى ارتقاء رفيع السمك مصعود
قوتي غناي ، وطمري ساتري ، وتقى مولاي كنزي ، وورد الموت موعودي .

كلاب

اصاح هي الدنيا تشابه ميتة ونحن حوايلها الكلاب النواج
فن ظلّ منها آكلًا فهو خاسر ومن عاد منها ساغبًا فهو رابح .

اعفى الجهاد

عزّ الذي أعفى الجهاد فما ترى حجرًا يغصّ بمأكلٍ او يشرقُ
متعرياً في صيفه وشتائه ما ربيع قطعاً للمبسّ يتحرق .

ايات

فبعداً لنفسٍ لا تزال ذليلةً لحب شرابٍ او لحب طعام .

اذا عمل الفكر الفتي جعل الغنى من المال فقراً ، والسرور به حزناً .

اقلّ بني الدنيا هموماً وحسرةً فقيدٌ غنيٌّ للمال والرشد عادمٌ .

عام ويوم

لقد اسفتُ، وماذا رد لي اسفي ، لما تفكرت في الايام والقدم
 في العدم كنا، وحكم الله اوجدنا ثم اتفقنا على ثان من العدم
 سيان عام ويوم في ذهابهما كأن ما دام ، ثم انبت ، لم يدم .

لنفي الهموم

آليت لو رزق العديم فطانة لنفي الهموم وبسات غير محسّر
 ولئن يُعدّ حمامة خير له من ان يضاف الى ذوات المنسر .

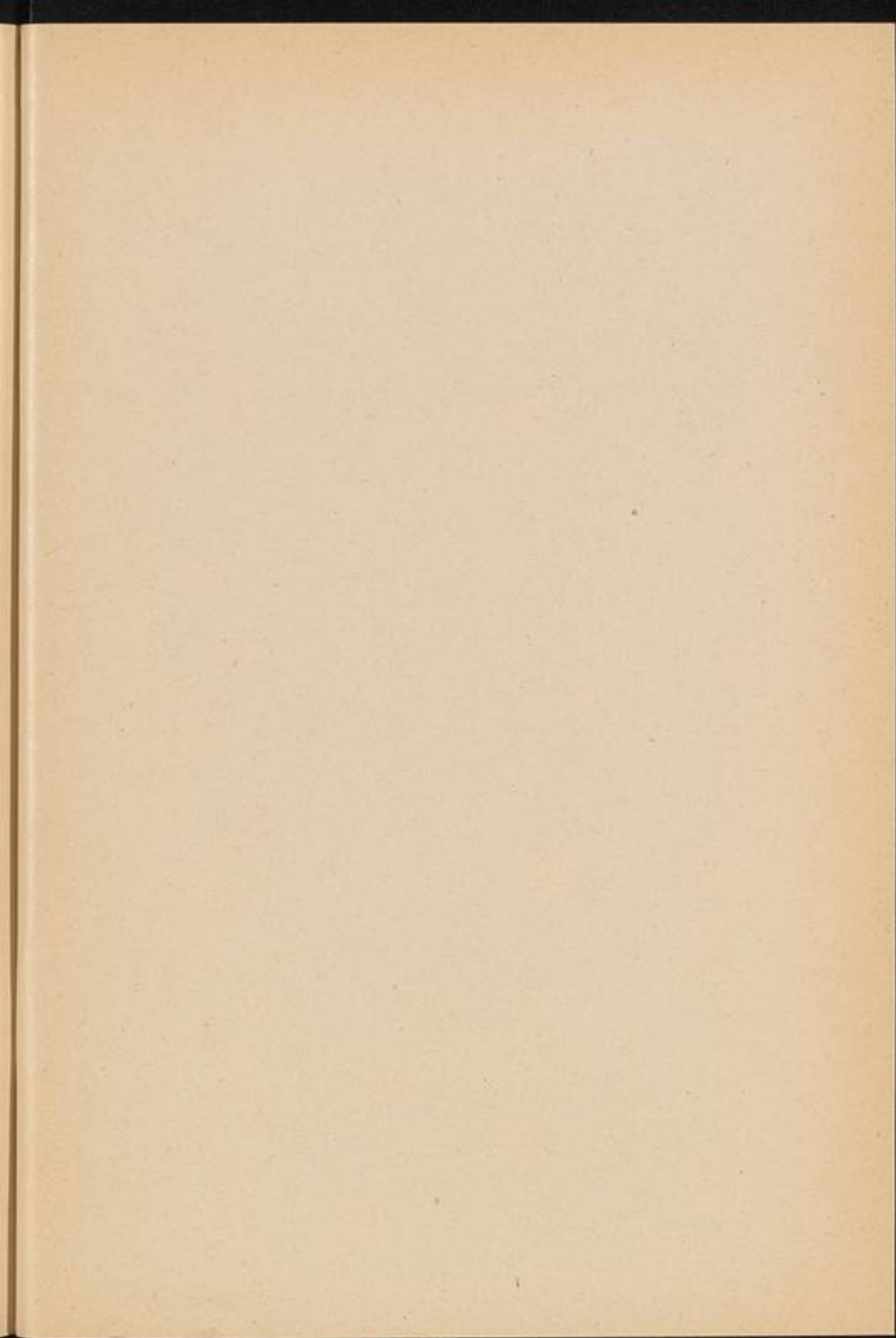
أهاتفة الايك

اهاتفة الأيك ، خلّي الانام ولا تثليبه ، ولا تمدحي
 وان كنت شادية فاصمتي وان كنت باكية فاصدحي

ايات

كأنّ الشدو في الاعراس نوح واصوات النوادب لهو عرس .
 ◊
 واجنحة النسور اذا اتها مناياها كاجنحة النبال .
 ◊
 عمل كلا عمل ، ووقت فائت ويد اذا ملكت رمت ما تملك .
 ◊

ارى الناس انفاسَ الترابِ فظاهرِ البنا ، ومردود الى الارض راجعُ .
اذا كان الجمالُ الى انتساحٍ فحزنًا جرَّ موهوبُ الجمالِ .
فلا يعجب بصورته جميلٌ فانَّ القبح يطوى كالجمالِ !
وان هاجك الدهر فاصبرُ له وعشْ ذا وقارٍ كأن لم تهجْ .
من لي يحسمُ لا يحسُّ رزيةً لكن يُعدَّ كتريةً او جلمدًا !



فلسفة العرب

سلسلة دراسات ومختارات



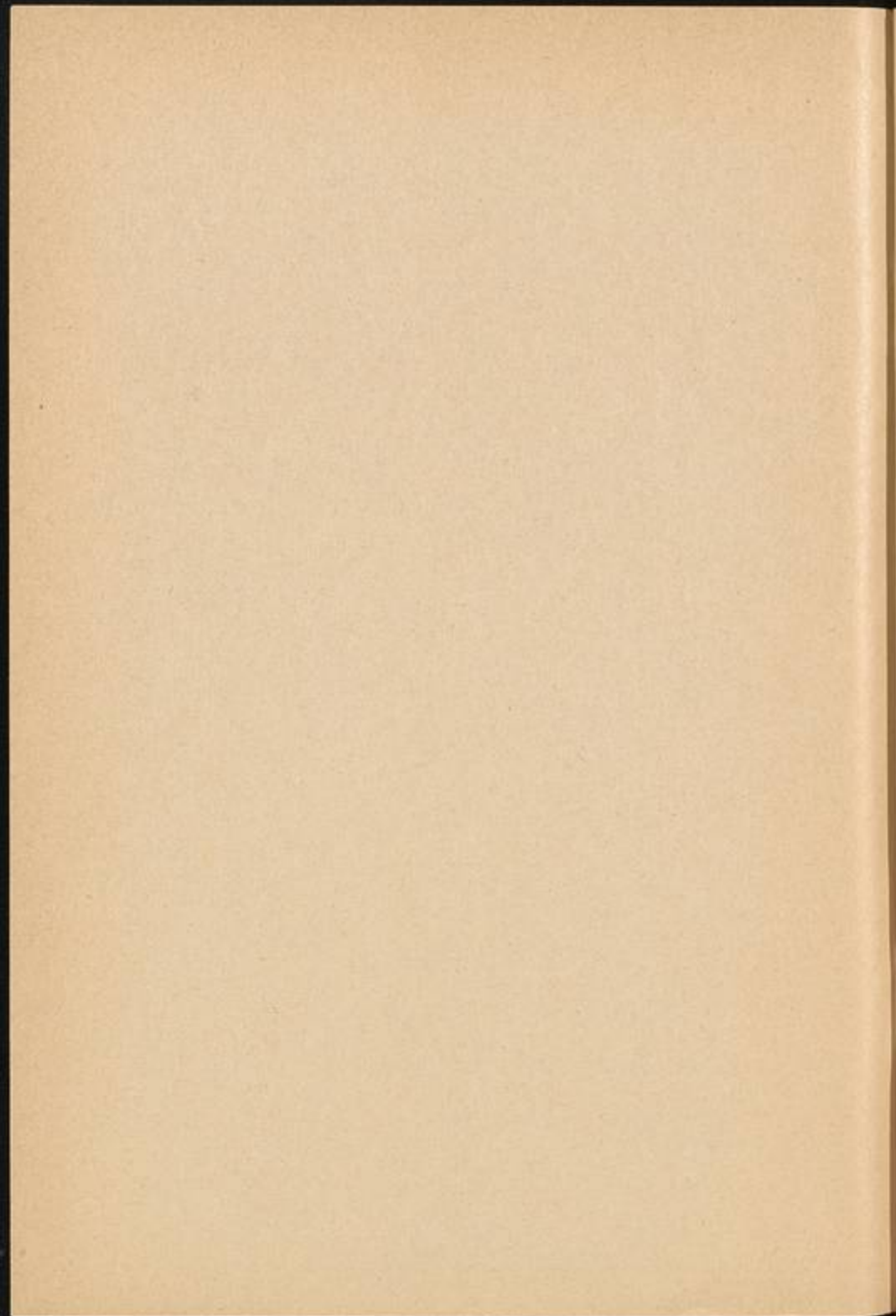
ظهر منها :

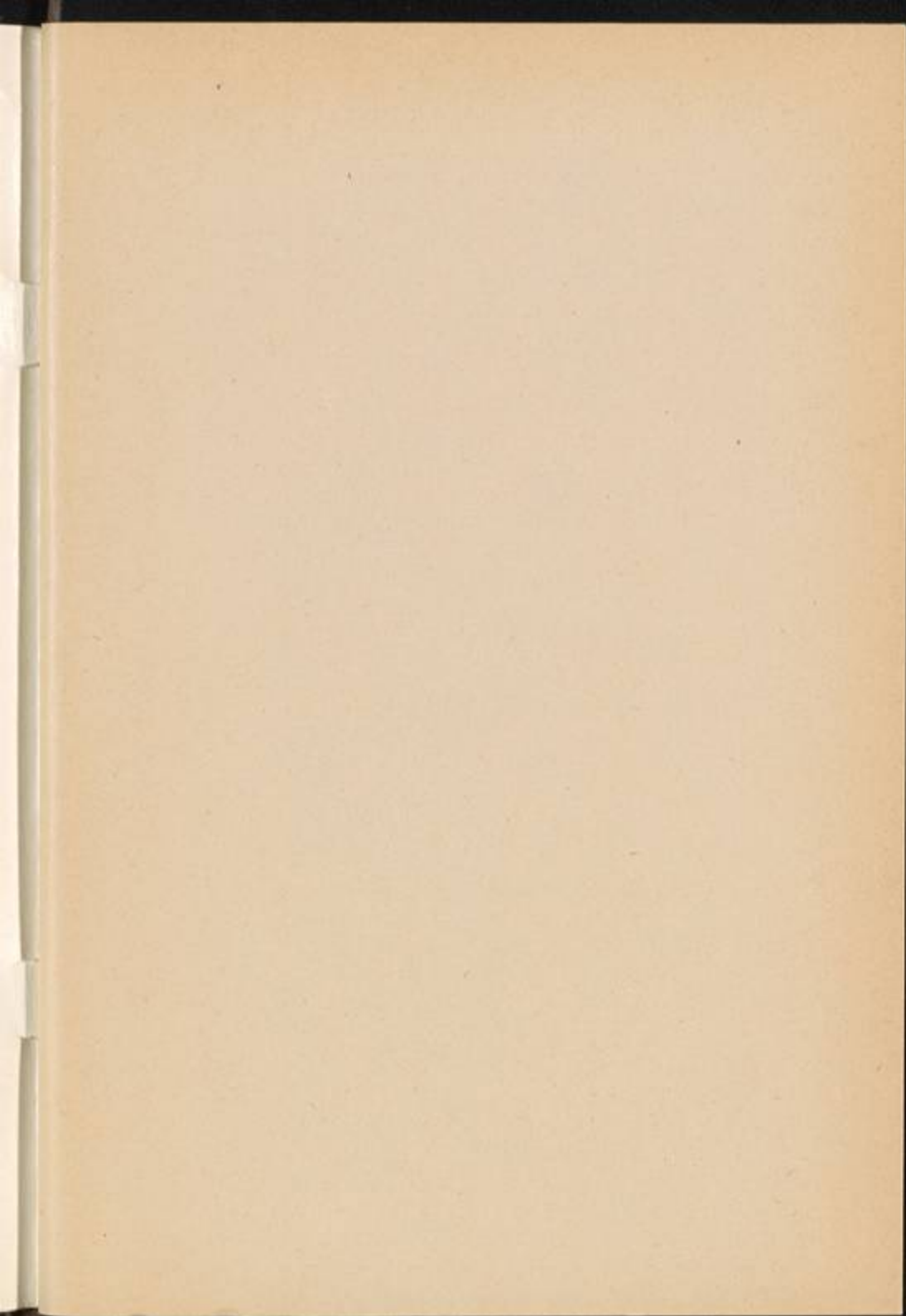
- | | |
|--------------------|-----------------------|
| (طبعة ثالثة) | ١ - ابن الفارض |
| (طبعة رابعة) | ٢ - ابو العلاء المعري |
| (طبعة ثالثة) | ٣ - ابن خلدون |
| جزءان (طبعة ثالثة) | ٤ - الغزالي |
| (طبعة ثالثة) | ٥ - ابن طفيل |
| جزءان (طبعة ثالثة) | ٦ - ابن رشد |
| (طبعة ثالثة) | ٧ - اخوان الصفاء |
| | ٨ - الكندي |
| جزءان (طبعة ثانية) | ٩ - الفارابي |
| جزءان | ١٠ - ابن سينا |

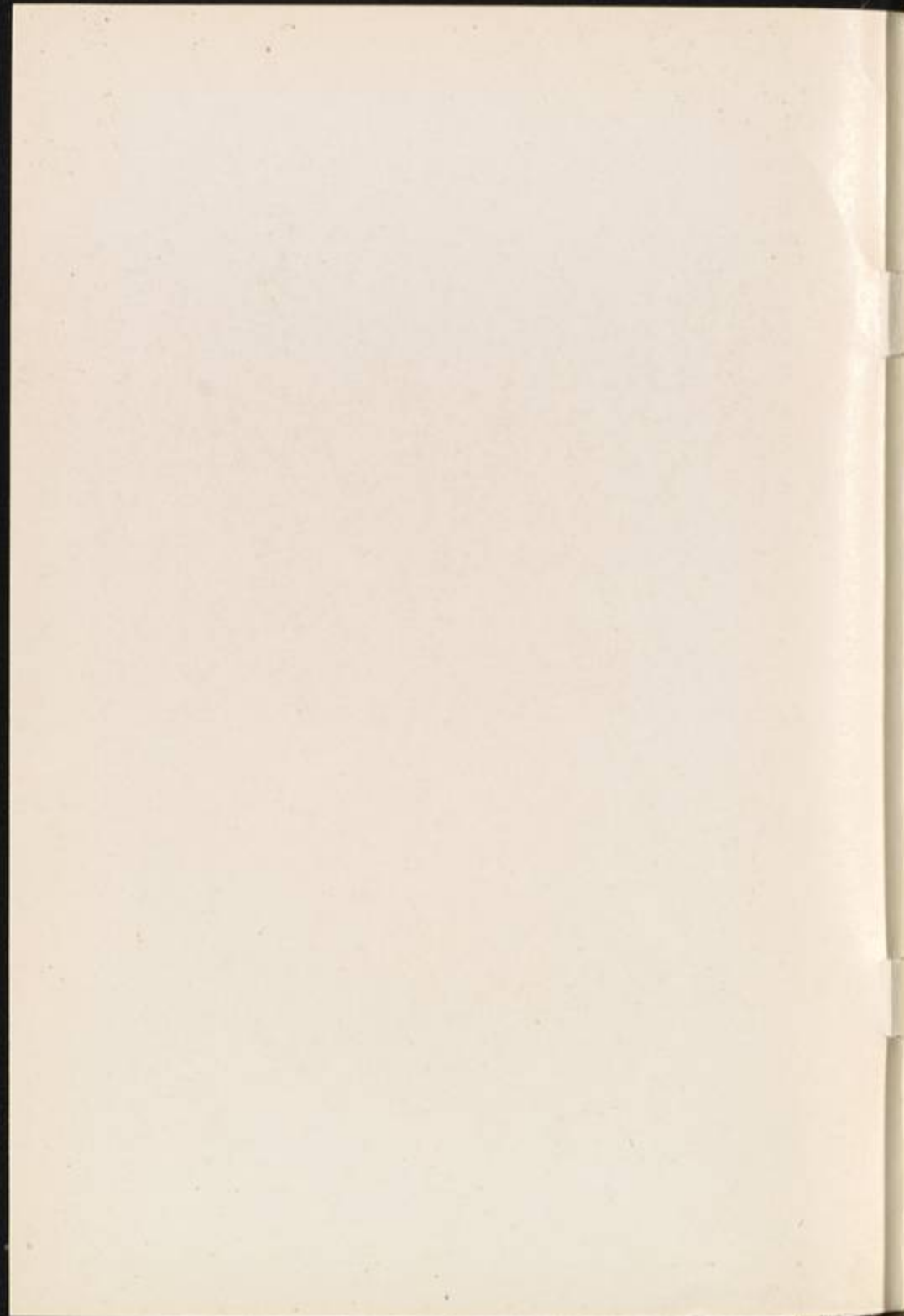
للمؤلف ايضاً :

- اصول الفلسفة العربية
طاغور : مسرح وشعر
(طبعة ثانية)

انجزت المطبعة الكاثوليكية في بيروت
طبع هذا الكتاب في السابع والعشرين
من شهر نيسان سنة ١٩٦٨







التوزيع : المكتبة الشريفة - ساحة النجمة
ص.ب : ١٩٨٦ - بيروت، لبنان

١٠٠ غ.ل

Cornell University Library

B741 .Q98

v.2

Falasifat al-Arab / Yuhanna Qumayr.



3 1924 032 319 265

olin

B
741
Q98
v.2